الفصل الثالث
عرض ونقد لمرويات سيف بن عمر عن وقعة الجمل

* سياسة علي رضي الله عنه مع أهل الفتنة.
* موقف أهل الأمصار من استشهاد عثمان رضي الله عنه.
* اجتماع دعاة الإصلاح (عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم) في مكة ومسيرهم إلى البصرة.
* موقف أهل البصرة من أصحاب الجمل (دعاة الإصلاح).
* خروج علي رضي الله عنه من المدينة إلى العراق.
* موقف السبئية من اختلاف الرسل بين علي وأصحاب الجمل (رضوان الله عليهم).
* دور السبئية في اندلاع القتال بين معسكر علي رضي الله عنه ومعسكر أهل البصرة.
* نتائج موقعة الجمل.

سياسة علي رضي الله عنه مع أهل الفتنة

الرواية رقم (٣٦)[١]

فيما كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن علي بن الحسين [أن علياً][٢] حمد الله وأثنى عليه، فقال:

إن الله عز وجل أنزل كتاباً هادياً بيَّن فيه الخير والشر، فخذوا بالخير ودعوا الشر، الفرائض أدّوها إلى الله سبحانه يؤدكم إلى الجنة، إن الله حرَّم حُرماً غير مجهولة، وفضَّل حُرمة المسلم على الحُرم كلها، وشد بالإخلاص والتوحيد [حقوق][٣] المسلمين، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده إلا بالحق، لا يحل أذى المسلم إلا بما يجب، بادروا أمر العامة، وخاصة أحدكم الموت، فإن الناس أمامكم، وإن من خلفكم الساعة تحدوكم، تخففوا تلحقوا، فإنما ينتظر الناس أخراهم، اتقوا الله عباده في عباده وبلاده، إنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، أطيعوا الله عز وجل ولا تعصوه،

---

(١) ٤/٤٣٦.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) وردت هذه الزيادة عند سيف بن عمر: كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي (تحقيق د. قاسم السامرائي) ٢٤٠.

وإذا رأيتم الخير فخذوا به وإذا رأيتم الشر فدعوه، ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[1].

الرواية رقم (٣٧)[2]

وكتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: ولما أراد علي الذهاب إلى بيته قالت السبئية:

خذها إليك واحذرن أبا حسن ... إنا نمر الأمر إمرار الرسن
صولة أقوام كأسداد السفن ... بمشرفيات كغدران اللبن
ونطعن الملك بلين كالشطن ... حتى يمرن على غير عنن

فقال علي وذكر تركهم العسكر:

إني عجزت عجزة لا أعتذر ... سوف أكيس بعدها وأستمر
أرفع من ذيلي ما كنت أجر ... وأجمع الأمر الشتيت المنتشر
إن لم يشاغبني العجول المنتصر ... أو يتركوني والسلاح يبتدر

واجتمع إلى علي بعد ما دخل طلحة والزبير في عدة من الصحابة، فقالوا: يا علي، إنا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل وأحلّوا بأنفسهم، فقال لهم: يا إخوتاه، إني لست أجهل ما تعلمون، ولكني كيف أصنع بقوم يملكوننا ولا نملكهم! ها هم هؤلاء قد ثارت معهم عبدانكم، وثابت إليهم أعرابكم، وهم خلالكم يسومونكم ما شاؤوا، فهل ترون موضعاً لقدرة على شيء مما تريدون؟ قالوا: لا، قال: فلا والله لا أرى إلا رأياً ترونه إن شاء الله، إن هذا الأمر أمر جاهلية، وإن لهؤلاء الناس مادة، وذلك أن الشيطان لم يشرع شريعة قط فيبرح الأرض من أخذ بها أبداً، إن الناس من هذا الأمر إن حرك على أمور: فرقة ترى ما

---

(١) الأنفال: ٢٦.

(٢) ٤/ ٤٣٦ ـ ٤٣٨.

ترون، وفرقة ترى ما لا ترون، وفرقة لا ترى هذا ولا هذا حتى يهدأ الناس وتقع القلوب مواقعها وتؤخذ الحقوق، فاهدؤوا عني وانظروا ماذا يأتيكم، ثم عودوا.

واشتد على قريش، وحال بينهم وبين الخروج على حال، وإنما هيجه على ذلك هرب بني أمية، وتفرق القوم، وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لا قدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار، لترك هذا إلى ما قال علي أمثل، وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخره، ووالله إن علياً لمستغنٍ برأيه وأمره عنا، ولا نراه إلا سيكون على قريش أشد من غيره، فذُكِر ذلك لعلي فقام فحمد الله وأثنى عليه وذكر فضلهم وحاجته إليهم ونظره لهم وقيامه دونهم، وأنه ليس له من سلطانهم إلا ذلك، والأجر من الله عز وجل عليه، ونادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبئية والأعراب، وقالوا: لنا غداً مثلها، ولا نستطيع نحتج فيهم بشيء.

الرواية رقم (٣٨)[1]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: خرج علي في اليوم الثالث على الناس، فقال: يا أيها الناس، أخرجوا عنكم الأعراب، وقال: يا معشر الأعراب، الحقوا بمياهكم، فأبت السبئية وأطاعهم الأعراب، ودخل علي بيته ودخل عليه طلحة والزبير وعدة من أصحاب النبي ﷺ، فقال: دونكم ثأركم فاقتلوه، فقالوا: عشوا[2] عن ذلك، قال: هم والله بعد اليوم أعشى وآبى، وقال:

لو أن قومي طاوعتني سراتهم أمرتهم أمراً يديخ الأعاديا

وقال طلحة: دعني فلآتي البصرة فلا يفجؤك إلا وأنا في خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك، وقال الزبير: دعني آتي الكوفة فلا يفجؤك إلا وأنا في

---

(١) ٤/٤٣٨.

(٢) عشوا: أعرضوا. [ابن منظور: لسان العرب ١٥/٥٨].

خيل، فقال: حتى أنظر في ذلك، وسمع المغيرة بذلك المجلس فجاء حتى دخل عليه، فقال: إن لك حق الطاعة والنصيحة، وإن الرأي اليوم تحرز به ما في غد، وإن الضياع اليوم تضيع به ما في غد، أقرر معاوية على عمله، وأقرر ابن عامر على عمله، وأقرر العمال على أعمالهم، حتى إذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت أو تركت، قال: حتى أنظر.

نقد النصوص

١ ـ ذكرت الرواية رقم (٣٧) أن طلحة والزبير وبعض الصحابة رضوان الله عليهم قد اشترطوا في بيعتهم لعلي إقامة الحدود.

وهذا الخبر على ضعف سنده فإن في متنه مقالاً، وفي ذلك يقول ابن العربي: فإن قيل بايعوه على أن يقتل قتلة عثمان، قلنا: هذا لا يصح في شرط البيعة[١].

٢ ـ تحدثت الروايتان رقم (٣٧) و (٣٨) عن سياسة علي رضي الله عنه مع أهل الفتنة وأنه كان يرى تأجيل إقامة الحدود حتى تستتب الأمور وتهدأ الأنفس بعد مقتل عثمان رضي الله عنه.

وفي تعليل ذلك يقول ابن تيمية:

(لم يكن علي مع تفرق الناس عليه متمكناً من قتل قتلة عثمان إلا بفتنة تزيد الأمر شراً وبلاءً؛ لأنهم كانوا عسكراً، وكان لهم قبائل تغضب لهم، والمباشر منهم للقتل ـ وإن كان قليلاً ـ فكان ردؤهم أهل الشوكة، ولولا ذلك لم يتمكنوا)[٢].

كما أشار إلى ذلك ابن حزم بقوله:

---

(١) ابن العربي: العواصم من القواصم ١٥٠.

(٢) ابن تيمية: منهاج السنة ٤/٤٠٧.

(ولكنهم كانوا عدداً ضخماً جماً لا طاقة له عليهم، فقد سقط عن علي رضي الله عنه ما لا يستطيع عليه، كما سقط عنه وعن كل مسلم ما عجز عنه من قيام بالصلاة والصوم والحج، ولا فرق)[1].

٣ ـ ذكرت الرواية رقم (٣٨) أن طلحة والزبير رضي الله عنهما طلبا من علي رضي الله عنه السماح لهما بالذهاب إلى البصرة والكوفة لإحضار جند يقاتلون بهم قتلة عثمان رضي الله عنه.

وهذا الخبر لا يصح منه شيء؛ لأن طلحة والزبير رضي الله عنهما كانا حريصين على إصلاح ذات البين وإطفاء الفتنة ومنع إراقة المزيد من دماء المسلمين، كما سيأتي في مبحث (اجتماع دعاة الإصلاح في مكة ومسيرهم إلى البصرة)[2].

❁ ❁ ❁

(١) ابن حزم: الفصل ٤/٢٤٣.

(٢) انظر ص (١٦٢).

موقف أهل الأمصار من استشهاد عثمان رضي الله عنه

الرواية رقم (٣٩)[١]

١ ـ كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: بعث علي عماله على الأمصار، فبعث عثمان بن حنيف[٢] على البصرة، وعمارة بن شهاب[٣] على الكوفة، وكانت له هجرة، وعبيد الله بن عباس على اليمن، وقيس بن سعد[٤] على مصر، وسهل بن حنيف[٥] على الشام، فأما سهل فإنه خرج حتى إذا كان بتبوك لقيته خيل، فقالوا: من أنت؟ قال: أمير، قالوا: على أي شيء؟

---

(١) ٤/ ٤٤٢ ـ ٤٤٤.

(٢) عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي، له صحبة، استعمله عمر رضي الله عنه على مساحة أرض الكوفة، مات في خلافة معاوية رضي الله عنه، أخرج له البخاري في الأدب المفرد والترمذي والنسائي وابن ماجه. [ابن حجر: التقريب ٣٨٣].

(٣) هو عمارة بن شهاب الثوري. [ابن حجر: الإصابة ٤/ ٥٨٢].

(٤) قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، صحابي جليل، مات سنة (٦٠هـ) وقيل بعد ذلك، أخرج له الستة. [ابن حجر: التقريب ٤٥٧].

(٥) سهل بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي، من أهل بدر، مات في خلافة علي رضي الله عنه، أخرج له الستة. [ابن حجر: التقريب ٢٥٧].

قال: على الشام، قالوا: إن كان عثمان بعثك فحيهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع، قال: أوما سمعتم بالذي كان؟ قالوا: بلى، فرجع إلى علي. وأما قيس بن سعد فإنه لما انتهى إلى أيلة[1] لقيته خيل، فقالوا: من أنت؟ قال: من فالة عثمان، فأنا أطلب من آوي إليه وأنتصر به، قالوا: من أنت؟ قال: قيس بن سعد، قالوا: امض، فمضى حتى دخل مصر، فافترق أهل مصر فرقاً، فرقة دخلت في الجماعة وكانوا معه، وفرقة وقفت واعتزلت إلى خربتا[2] وقالوا: إن قتل قتلة عثمان فنحن معكم، وإلا فنحن على جديلتنا حتى نحرك أو نصيب حاجتنا، وفرقة قالوا: نحن مع علي ما لم يقد إخواننا، وهم في ذلك مع الجماعة، وكتب قيس إلى أمير المؤمنين بذلك. وأما عثمان بن حنيف فسار فلم يرده أحد عن دخول البصرة ولم يوجد في ذلك لابن عامر رأي ولا حزم ولا استقلال بحرب، وافترق الناس بها، فاتبعت فرقة القوم، ودخلت فرقة في الجماعة.

٢ ـ وفرقة قالت: ننظر ما يصنع أهل المدينة فنصنع كما صنعوا. وأما عمارة فأقبل حتى إذا كان بزبالة[3] لقيه طليحة بن خويلد ـ وقد كان حين بلغهم خبر عثمان خرج يدعو إلى الطلب بدمه ويقول: لهفي على أمر لم يسبقني ولم أدركه!

يا ليتني فيها جذع أكر فيها وأضع

فطلع عليه عمارة قادماً على الكوفة ـ فقال له: ارجع فإن القوم لا

---

(١) أيلة: مدينة كانت على ساحل البحر الأحمر في خليج العقبة. د.صلاح الدين المنجد: معجم أماكن الفتوح ص ٦٩١.

(٢) خربتا: من كور مصر وتقع قرب الإسكندرية. [ياقوت: معجم البلدان ٢/٣٥٥].

(٣) زبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة، وهي من محطات طريق الحاج العراقي، وتقع في الشمال الشرقي من السعودية وعلى مقربة من الحدود العراقية، ولا تزال عامرة حتى يومنا هذا. [ياقوت: معجم البلدان ٣/١٢٩؛ حمد الجاسر: كتاب المناسك للحربي، هامش رقم (٥) ص ٥٢٨؛ سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ٣٢].

يريدون بأميرهم بدلاً، وإن أبيت ضربت عنقك، فرجع عمارة وهو يقول: احذر الخطر ما يماسك، الشر خير من شر منه.

٣ ـ فرجع إلى علي بالخبر، وغلب على عمارة بن شهاب هذا المثل من لدن اعتاصت عليه الأمور إلى أن مات. وانطلق عبيد الله بن عباس إلى اليمن، فجمع يعلى بن أمية[١] كل شيء من الجباية وتركه وخرج بذلك وهو سائر على حاميته إلى مكة فقدمها بالمال. ولما رجع سهل بن حنيف من طريق الشام وأتته الأخبار ورجع من رجع، دعا علي طلحة والزبير، فقال: إن الذي كنت أحذركم قد وقع يا قوم، وإن الأمر الذي وقع لا يدرك إلا بإماتته، وإنها فتنة كالنار، كلما سعرت ازدادت واستنارت، فقالا له: فأذن لنا أن نخرج من المدينة، فإما أن نكابر وإما أن تدعنا، فقال: سأمسك الأمر ما استمسك، فإذا لم أجد بداً فآخر الدواء الكي.

٤ ـ وكتب إلى معاوية وإلى أبي موسى. وكتب إليه أبو موسى بطاعة أهل الكوفة وبيعتهم، وبين الكاره منهم للذي كان، والراضي بالذي قد كان، ومن بين ذلك حتى كأن علياً على المواجهة من أمر أهل الكوفة. وكان رسول علي إلى أبي موسى معبد الأسلمي[٢]، وكان رسول أمير المؤمنين إلى معاوية سبرة الجهني[٣]، فقدم عليه فلم يكتب معاوية بشيء ولم يجبه وردَّ رسوله، وجعل كلما تنجز جوابه لم يزد على قوله:

أدم إدامة حصن أو خُذا بيدي حرباً ضروساً تُشِبُّ الجزل والضرما

---

(١) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام التميمي، حليف قريش، وهو يعلى بن منية، وهي أمه، صحابي مشهور، مات سنة بضع وأربعين، أخرج له الستة. [ابن حجر: التقريب ٦٠٩].

(٢) معبد ابن أم معبد الأسلمي، له ذكر في فتوح العراق. [الطبري: التاريخ ٣/٤١١].

(٣) سبرة الجهني، له صحبة، مات في خلافة معاوية رضي الله عنه، أخرج له الستة. [ابن حجر: التقريب ٢٢٩].

في جاركم وابنكم إذ كان مقتله شنعاء شيبت الأصداغ واللّمما
أعيا المَسُودُ بها والسيدون فلم يوجد لها غيرنا مولى ولا حكما

٥ ـ وجعل الجهني كلما تنجز الكتاب لم يزده على هذه الأبيات، حتى إذا كان الشهر الثالث من مقتل عثمان في صفر، دعا معاوية برجل من بني عبس، ثم أحد بني رواحة يدعى قبيصة فدفع إليه طوماراً[١] مختوماً، عنوانه: من معاوية إلى علي، فقال: إذا دخلت المدينة فاقبض على أسفل الطومار، ثم أوصاه بما يقول وسرح رسول علي، وخرجا فقدما المدينة في ربيع الأول لغرته، فلما دخلا المدينة رفع العبسي الطومار كما أمره، وخرج الناس ينظرون إليه، فتفرقوا إلى منازلهم وقد علموا أن معاوية معترض، ومضى حتى يدخل على عليّ، فدفع إليه الطومار، ففض خاتمه لم يجد في جوفه كتابة، فقال للرسول: ما وراءك؟ قال: آمن أنا؟ قال: نعم، إن الرسل آمنة لا تقتل، قال: ورائي أني تركت قوماً لا يرضون إلا بالقود، قال: ممن؟ قال: من خيط نفسك[٢]، وتركت ستين ألف شيخ يبكي تحت قميص عثمان وهو منصوب لهم، قد ألبسوه منبر دمشق، فقال: مني يطلبون دم عثمان! ألست موتوراً كترة عثمان! اللهم إني أبرأ إليك من دم عثمان، نجا والله قتلة عثمان إلا أن يشاء الله، فإنه إذا أراد أمراً أصابه، اخرج، قال: وأنا آمن؟ قال: وأنت آمن، فخرج العبسي وصاحت السبئية قالوا: هذا الكلب، هذا وافد الكلاب، اقتلوه! فنادى: يا آل مضر، يا آل قيس، الخيل والنبل، إني أحلف بالله جل اسمه ليردنها عليكم أربعة آلاف خصي، فانظروا كم الفحولة والركاب! وتعاووا عليه ومنعته مضر، وجعلوا يقولون له: اسكت، فيقول: لا والله، لا يفلح هؤلاء أبداً، فلقد أتاهم ما يوعدون، فيقولون له: اسكت، فيقول: لقد حل

---

(١) طومار: صحيفة. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٥٥٤].

(٢) خيط نفسك: رقبتك. [ابن الأثير: الكامل في التاريخ ٣/٢٠٣؛ الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٨٦٠].

بهم ما يحذرون، انتهت والله أعمالهم، وذهبت ريحهم، فوالله ما أمسوا حتى عرف الذل فيهم.

الرواية رقم (٤٠)[١]

١ ـ كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وأحب أهل المدينة أن يعلموا ما رأي علي في معاوية وانتقاضه، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة، أيجسر عليه أو ينكل عنه! وقد بلغهم أن الحسن بن علي دخل عليه ودعاه إلى القعود وترك الناس، فدسوا إليه زياد بن حنظلة التميمي[٢] ـ وكان منقطعاً إلى علي ـ فدخل عليه فجلس إليه ساعة ثم قال له علي: يا زياد، تيسر، فقال: لأي شيء؟ فقال: تغزو الشام، فقال زياد: الأناة والرفق أمثل، فقال:

ومن لا يصانع في أمور كثيرة ... يضرس بأنياب ويوطأ بمنسم

فتمثل علي وكأنه لا يريده:

متى تجمع القلب الذكي وصارماً ... وأنفاً حمياً تجتنبك المظالم

٢ ـ فخرج زياد على الناس والناس ينتظرونه، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: السيف يا قوم، فعرفوا ما هو فاعل، ودعا علي محمد بن الحنفية فدفع إليه اللواء، وولَّى عبد الله بن عباس ميمنته، وعمر بن أبي سلمة[٣] ـ أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد[٤] ـ ولاه ميسرته، ودعا

---

(١) ٤/٤٤٤ ـ ٤٤٧.

(٢) زياد بن حنظلة التميمي، له صحبة، عمل لرسول الله ﷺ وكان منقطعاً إلى علي، وشهد معه مشاهده كلها. [ابن عبد البر: الاستيعاب ٤/٣٥].

(٣) عمر بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ربيب النبي ﷺ، صحابي صغير، أمه أم سلمة زوج النبي ﷺ، أمَّره علي رضي الله عنه على البحرين، مات سنة (٨٣هـ) أخرج له الستة. [ابن حجر: التقريب ٤١٣].

(٤) عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، لم أقف على ترجمته.

أبا ليلى بن عمر بن الجراح[1]، ابن أخي أبي عبيدة بن الجراح، فجعله على مقدمته، واستخلف على المدينة قثم بن عباس، ولم يول ممن خرج على عثمان أحداً، وكتب إلى قيس بن سعد أن يندب الناس إلى الشام، وإلى عثمان بن حنيف وإلى أبي موسى مثل ذلك، وأقبل على التهيؤ والتجهز، وخطب أهل المدينة فدعاهم إلى النهوض في قتال أهل الفرقة، وقال: إن الله عز وجل بعث رسولاً هادياً مهدياً بكتاب ناطق وأمر قائم واضح، لا يهلك عنه إلا هالك، وإن المبتدعات والشبهات هن المهلكات إلا من حفظ الله، وإن في سلطان الله عصمة أمركم، فأعطوه طاعتكم غير ملوية ولا مستكره بها، والله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام ثم لا ينقله إليكم أبداً حتى يأرز الأمر إليها، انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يريدون يفرقون جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الآفاق، وتقضون الذي عليكم.

فبينا هم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكة بنحو آخر وتمام على خلاف، فقام فيهم بذلك، فقال: إن الله عز وجل جعل لظالم هذه الأمة العفو والمغفرة، وجعل لمن لزم الأمر واستقام الفوز والنجاة، فمن لم يسعه الحق أخذ بالباطل، ألا وإن طلحة والزبير وأم المؤمنين قد تمالؤوا على سخط إمارتي، ودعوا الناس إلى الإصلاح، وسأصبر ما لم أخف على جماعتكم، وأكف إن كفوا، وأقتصر على ما بلغني عنهم.

٣ - ثم أتاه أنهم يريدون البصرة لمشاهدة الناس والإصلاح، فتعبأ للخروج إليهم، وقال: إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين وما كان عليهم في المقام فينا مؤونة ولا إكراه، فاشتد على أهل المدينة الأمر، فتثاقلوا، فبعث إلى عبد الله بن عمر كميلاً النخعي، فجاء به فقال: انهض معي، فقال: أنا مع أهل المدينة، إنما أنا رجل منهم وقد دخلوا

(١) أبو ليلى عمر بن الجراح، لم أقف على ترجمته.

في هذا الأمر فدخلت معهم لا أفارقهم، فإن يخرجوا أخرج وإن يقعدوا أقعد، قال: فأعطني زعيماً بألا تخرج، قال: ولا أعطيك زعيماً، قال: لولا ما أعرف من سوء خلقك صغيراً وكبيراً لأنكرتني، دعوه فأنا به زعيم، فرجع عبد الله بن عمر إلى المدينة وهم يقولون: لا والله ما ندري كيف نصنع، فإن هذا الأمر لمشتبه علينا، ونحن مقيمون حتى يضيء لنا ويسفر.

٤ ـ فخرج من تحت ليلته وأخبر أم كلثوم بنت علي بالذي سمع من أهل المدينة، وأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة علي ما خلا النهوض، وكان صدوقاً فاستقر عندها، وأصبح علي فقيل له: حدث البارحة حدث هو أشد عليك من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومعاوية، قال: وما ذلك؟ قال: خرج ابن عمر إلى الشام، فأتى علي السوق ودعا بالظهر فحمل الرجال وأعد لكل طريق طلاباً، وماج أهل المدينة، وسمعت أم كلثوم بالذي هو فيه، فدعت ببغلتها فركبتها في رحل ثم أتت علياً وهو واقف في السوق يفرق الرجال في طلبه، فقالت: ما لك لا تَزَنَّد[1] من هذا الرجل؟ إن الأمر على خلاف ما بُلِّغتَهُ وحُدِّثتَهُ، قالت: أنا ضامنة له، فطابت نفسه وقال: انصرفوا، لا والله ما كذبت ولا كذب، وإنه عندي ثقة، فانصرفوا.

❁ ❁ ❁

(١) تَزَنَّد: غضب. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٣٦٥].

نقد النصوص

١ ـ كان موقف أهل الأمصار من استشهاد عثمان رضي الله عنه كالتالي:

أ ـ قسم يرى إقامة الحدود على قتلة عثمان فوراً وعدم تأجيل ذلك. وهؤلاء هم أهل الشام، وقسم من أهل البصرة، وقسم من أهل مصر.

وهذا ما ذكرته الرواية رقم (٣٩/١، ٥).

ب ـ قسم يرى تأجيل إقامة الحدود حتى تستتب الأمور وتهدأ الأنفس.

وهذا الاتجاه يمثله علي رضي الله عنه وشطر كبير من أهل الأمصار.

وهذا ما أشارت إليه الروايتان (٣٧) و (٣٨).

وقد تقدم الحديث عن موقف علي رضي الله عنه في المبحث السابق.

جـ ـ قسم اعتزل الفتنة، منهم: سعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، ومحمد بن مسلمة رضوان الله عليهم[١].

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ١٣/٣٧، ٤٤.

د ـ كما أن هناك قسماً رابعاً سعى للإصلاح بين الناس.

وهذه الفئة فئة المصلحين يمثلها عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم حيث خرجوا من مكة إلى البصرة سعياً للإصلاح بين الفئتين الأوليين ـ كما سيأتي بيانه إن شاء الله في المبحث القادم ـ.

٢ ـ تحدثت الرواية رقم (٣٩/ ٥) عن اتهام معاوية وأهل الشام لعلي بقتل عثمان. وأن معاوية أرسل خطاباً إلى علي يتوعده فيه.

وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، هذا فضلاً عن أنه لم يرد من طريق صحيح.

وحقيقة الأمر أن معاوية رضي الله عنه كان عاتباً على علي رضي الله عنه بسبب تأجيله إقامة القصاص على قتلة عثمان رضي الله عنه، ولكن هذا العتب لم يدفع معاوية إلى الانتقاص من علي، بل على العكس من ذلك فقد كان يصرح لمن حوله بأن علياً أفضل منه.

وهو ما أخرجه يحيى بن سليمان الجعفي[١]، بسند جيد[٢]، عن أبي مسلم الخولاني[٣] أنه قال لمعاوية:

(أنت تنازع علياً، أم أنت مثله؟

فقال: لا والله، إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قُتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه،

---

(١) يحيى بن سليمان بن يحيى الجعفي، أبو سعيد الكوفي، نزيل مصر، صدوق يخطىء، من الطبقة العاشرة، أخرج له البخاري والترمذي. [ابن حجر: التقريب ٥٩١].

(٢) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٩٢.

(٣) أبو مسلم الخولاني، الزاهد، الشامي، اسمه عبد الله، ويقال: يعقوب، ثقة عابد، من الطبقة الثانية، رحل إلى النبي ﷺ ولم يدركه، عاش إلى زمن يزيد بن معاوية، أخرج له مسلم والأربعة. [ابن حجر: التقريب ٦٧٣].

فأتُوه، فقولوا له: فليدفع إلي قتلة عثمان، وأُسلِّمُ له، فأتوا علياً، فكلموه، فلم يدفعهم إليه)[1].

وفي رواية:

(فأتوه فكلموه فقال: يدخل في البيعة ويحاكمهم إلي، فامتنع معاوية، فسار علي في الجيوش من العراق حتى نزل بصفين، وسار معاوية حتى نزل هناك، وذلك في ذي الحجة سنة ست وثلاثين، فتراسلوا فلم يتم لهم أمر، فوقع القتال)[2].

٣ ـ تحدثت الرواية رقم (٤٠/ ٢، ٣) عن اتهام علي لطلحة وعائشة والزبير رضوان الله عليهم بأنهم قد كرهوا بيعته.

وهذا خبر مكذوب؛ لأنه قد صحَّ عن عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم أنه حين قامت الفتنة أيام عثمان رضي الله عنه جاءهم الأحنف بن قيس يستشيرهم فيمن يبايع له إن قتل عثمان، فأشاروا عليه بمبايعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[3].

٤ ـ تحدثت الرواية رقم (٤٠/ ٣، ٤) عن قيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالتهجم على عبد الله بن عمر رضي الله عنه لاعتزاله وعدم وقوفه إلى جانبه.

وهذا الخبر فيه تحريف وكذب؛ إذ أن حقيقة الأمر هي ما أخرجه ابن أبي شيبة[4]، بإسناد صحيح قال: حدثنا ابن علية[5]، عن أيوب[6]،

---

(١) الذهبي: سير الأعلام ٣/ ١٤٠؛ ابن كثير: البداية والنهاية ٨/ ١٢٩؛ ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٩٢.

(٢) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٩٢.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٣٨.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٤٧٢.

(٥) إسماعيل بن علية: ثقة حافظ. [ابن حجر: التقريب ١٠٥].

(٦) أيوب السختياني: ثقة ثبت. [ابن حجر: التقريب ١١٧].

عن نافع[1]، عن ابن عمر قال: (لما بويع لعلي أتاني فقال: إنك امرؤ محبب في أهل الشام، فإني قد استعملتك فسر إليهم، قال: فذكرت القرابة وذكرت الصهر، فقلت: أما بعد، فوالله لا أبايعك[2]، قال: فتركني وخرج...).

مما سبق يلاحظ أن تهجم علي بن أبي طالب على عبد الله بن عمر يعد من الأخبار المكذوبة على الصحابة رضوان الله عليهم.

(١) نافع مولى ابن عمر: ثقة ثبت. [ابن حجر: التقريب ٥٥٩].

(٢) أي على قبول ولاية الشام، لأن مدار الرواية على ذلك.

اجتماع دعاة الإصلاح (عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم) في مكة ومسيرهم إلى البصرة

الرواية رقم (٤١)[١]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة، فأذن لهما، فلحقا بمكة.

الرواية رقم (٤٢)[٢]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو بن محمد، عن الشعبي، قال: خرجت عائشة رضي الله عنها نحو المدينة من مكة بعد مقتل عثمان، فلقيها رجل من أخوالها، فقالت: ما وراءك؟ قال: قتل عثمان واجتمع الناس على علي، والأمر أمر الغوغاء، فقالت: ما أظن ذلك تاماً، ردوني، فانصرفت راجعة إلى مكة، حتى إذا دخلتها أتاها عبد الله بن عامر الحضرمي ـ وكان أمير عثمان عليها ـ فقال: ما ردك يا أم المؤمنين؟ قالت: ردني أن عثمان قتل مظلوماً، وأن الأمر لا يستقيم ولهذه الغوغاء أمر، فاطلبوا بدم عثمان تعزوا الإسلام، فكان أول من أجابها عبد الله بن عامر

---

(١) ٤/٤٤٤.

(٢) ٤/٤٤٩، ٤٥٠.

الحضرمي، وذلك أول ما تكلمت بنو أمية بالحجاز ورفعوا رؤوسهم، وقام معهم سعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وسائر بني أمية، وقد قدم عليهم عبد الله بن عامر من البصرة، ويعلى بن أمية من اليمن، وطلحة والزبير من المدينة، واجتمع ملؤهم بعد نظر طويل في أمرهم على البصرة، وقالت: أيها الناس، إن هذا حدث عظيم وأمر منكر، فانهضوا فيه إلى إخوانكم من أهل البصرة فأنكروه، فقد كفاكم أهل الشام ما عندهم، لعل الله عز وجل يدرك لعثمان وللمسلمين بثأرهم.

الرواية رقم (٤٣)[1]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن قيس، عن الأغر، قال: لما اجتمع إلى مكة بنو أمية ويعلى بن منية وطلحة والزبير، ائتمروا أمرهم، وأجمع ملؤهم على الطلب بدم عثمان وقتال السبئية حتى يثأروا وينقموا، فأمرتهم عائشة رضي الله عنها بالخروج إلى المدينة، واجتمع القوم على البصرة وردوها عن رأيها، وقال لها طلحة والزبير: إنا نأتي أرضاً قد أضيعت وصارت إلى علي، وقد أجبرنا علي على بيعته، وهم محتجون علينا بذلك وتاركوا أمرنا إلا أن تخرجي فتأمري بمثل ما أمرت بمكة، ثم ترجعي، فنادى المنادي: إن عائشة تريد البصرة وليس في ستمائة بعير ما تغنون به غوغاء وجلبة الأعراب وعبيداً قد انتشروا وافترشوا أذرعهم مستعدين لأول واعية، وبعثت إلى حفصة، فأرادت الخروج فعزم عليها ابن عمر فأقامت، فخرجت عائشة ومعها طلحة والزبير، وأمرت على الصلاة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد[2]، فكان يصلي بهم في الطريق وبالبصرة حتى قتل، وخرج معها مروان وسائر بني أمية إلا من خشع، وتيامنت عن

---

(١) ٤/٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، والده الصحابي عتاب بن أسيد رضي الله عنه وأمه جويرية بنت أبي جهل، أثنى عليه علي رضي الله عنه، قتل يوم الجمل سنة (٣٦هـ). [مصعب الزبيري: نسب قريش ١٩٣].

أوطاس[1]، وهم ستمائة راكب سوى من كانت له مطية، فتركت الطريق ليلة وتيامنت عنها كأنهم سيارة ونجعة[2]، مساحلين لم يدن من المنكدر[3] ولا واسط[4] ولا فلج[5] منهم أحد، حتى أتوا البصرة في عام خصيب. وتمثلت:

دعي بلاد جموع الظلم إذ صلحت ... فيها المياه وسيري سير مذعور
تخيري النبت فارعي ثم ظاهرة ... وبطن واد من الضَّمَّان ممطور

الرواية رقم (٤٤)[6]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لما اجتمع الرأي من طلحة والزبير وأم المؤمنين ومن بمكة من المسلمين على السير إلى البصرة والانتصار من قتلة عثمان رضي الله عنه، خرج الزبير وطلحة حتى لقيا ابن عمر ودعواه إلى الخفوف، فقال: إني امرؤ من أهل المدينة، فإن يجتمعوا على النهوض أنهض، وإن يجتمعوا على القعود أقعد، فتركاه ورجعا.

الرواية رقم (٤٥)[7]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن سعيد بن عبد الله،

---

(١) أوطاس: سهل يقع على طريق حاج العراق إذا أقبل من نجد، وتبعد عن مكة (١٤٣كم) باتجاه الشمال الشرقي، وتعرف اليوم باسم البريكة. [عاتق البلادي: على ربى نجد ٢٩، ١١٩].

(٢) نجعة: طلب الكلأ في موضعه. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٩٨٩].

(٣) المنكدر: طريق من الكوفة إلى اليمامة. [ياقوت: معجم البلدان ٥/٢١٦].

(٤) واسط: هي واسط نجد؛ لأن الطريق بين مكة والبصرة يمر بنجد، وتقع حالياً في ضواحي مدينة بريدة من جهة الغرب. [ياقوت: معجم البلدان ٥/٣٤٨، محمد العبودي: معجم بلاد القصيم ٦/٢٥٢٧].

(٥) فلج: ويعرف حالياً باسم حفر الباطن. [حمد الجاسر: كتاب المناسك للحربي، هامش رقم (١) ص ٥٣٥].

(٦) ٤/٤٦٠.

(٧) ٤/٤٦٠.

عن ابن أبي مليكة قال: فخرجوا حتى إذا انتهوا إلى جبال أوطاس تيامنوا وسلكوا طريقاً نحو البصرة، وتركوا طريقها يساراً، حتى إذا دنوا منها فدخلوها ركبوا المنكدر.

الرواية رقم (٤٦)[١]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن الشهيد، عن ابن أبي مليكة، قال: خرج الزبير وطلحة ففصلا، ثم خرجت عائشة فتبعها أمهات المؤمنين إلى ذات عرق[٢]، فلم ير يوم كان أكثر باكياً على الإسلام أو باكياً له من ذلك اليوم، كان يسمى يوم النحيب، وأمَّرت عبد الرحمن بن عتاب، فكان يصلي بالناس، وكان عدلاً بينهم.

(١) ٤/٤٦٠، ٤٦١.

(٢) ذات عرق: ميقات أهل العراق، وتعرف حالياً باسم الضريبة، وتبعد عن مكة قرابة (١٠٠كم) باتجاه الشمال الشرقي. [عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ١٩٣، عاتق البلادي: على ربى نجد ٢٢٣].

نقد النصوص

١ ـ ذكرت الروايتان رقم (٤٢) و(٤٣) أن عائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم اتفقوا في مكة على الطلب بدم عثمان رضي الله عنه.

وهذا الخبر غير صحيح حيث إنهم رضوان الله عليهم اتفقوا على الخروج إلى البصرة من أجل الإصلاح بين الناس حين اضطرب أمرهم بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، وليس من أجل المطالبة بدم عثمان.

ودليل ذلك ما أخرجه الإمام أحمد، قال:

(لما أقبلت عائشة بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب، قالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب، قالت: ما أظنني إلا أني راجعة، فقال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون فيصلح الله عز وجل ذات بينهم.

قالت: إن رسول الله ﷺ قال لها ذات يوم: كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب)[1].

وفي رواية أخرى للإمام أحمد:

(إن عائشة قالت لما أتت على الحوأب، سمعت نباح الكلاب فقالت:

(١) أحمد بن حنبل: المسند ٦/ ٥٢.

ما أظنني إلا راجعة، إن رسول الله ﷺ قال لنا: أيتكن تنبح عليها كلاب الحوأب.

فقال لها الزبير: ترجعين عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس)[1].

قال الذهبي: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجوه)[2].

وقال ابن كثير: (وهذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه)[3].

وهذا الحديث يعد من معجزات الرسول ﷺ، كما أن فيه بياناً لسبب خروج أصحاب الجمل رضوان الله عليهم وأنهم لم يخرجوا إلا لإصلاح ذات بين المسلمين.

٢ ـ ذكرت الروايتان رقم (٤٣) و(٤٥) أن أصحاب الجمل بعد أن خرجوا من مكة واقتربوا من (أوطاس) تيامنوا عنها وتركوا طريق البصرة وساروا بمحاذاته حتى وصلوا البصرة.

وهذا الخبر لا يصح بحق أولئك الصحب الكرام، حيث إنه يصور أصحاب الجمل ـ الذين خرجوا للإصلاح ـ بأنهم مجموعة من الخارجين على الخلافة، وأن خوفهم من علي رضي الله عنه قد دفعهم إلى الابتعاد عن سلوك طريق البصرة لكي لا يلحق بهم.

هذا وبدراسة خط سير أصحاب الجمل من مكة إلى البصرة ـ كما في الخريطة ـ اتضح أنهم سلكوا طريق البصرة ولم يحيدوا عنه كما زعمت الروايات السابقة.

وبيان ذلك كما يلي:

أ ـ ذكرت الروايات السابقة أن أصحاب الجمل حين وصلوا

---

(١) أحمد بن حنبل: المسند ٦/ ٩٧.

(٢) الذهبي: سير الأعلام ٢/ ١٧٨.

(٣) ابن كثير: البداية والنهاية ٦/ ٢١٢.

(أوطاس) تيامنوا عنها وتركوا طريق البصرة وساروا بمحاذاته.

وهذا الخبر فيه تلبيس يوهم أن أصحاب الجمل قد تركوا طريق البصرة، بينما حقيقة الأمر أن من أراد البصرة وكان خارجاً من مكة تيامن من عند (أوطاس) كما فعل أصحاب الجمل، ومن أراد الكوفة تياسر عنها، حيث إن طريقي البصرة والكوفة يأخذان بالتفرع يميناً ويساراً من بعد (أوطاس)[1].

ب ـ ورد في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام أحمد أن كلاب الحوأب قد نبحت على عائشة رضي الله عنها حين بلغت ديار بني عامر.

وبنو عامر هؤلاء هم بنو عامر بن صعصعة[2]، والحوأب ماء من مياه العرب يقع على طريق البصرة وهو من مياه بني بكر بن كلاب[3]، وبنو كلاب هؤلاء بطن من عامر بن صعصعة[4].

وحيث إن بني كلاب كانوا يسكنون (ضرية)[5]، فإن هذا يعني أن الحوأب تقع في (ضرية)، وحيث إن (ضرية) تقع على طريق الحاج البصري[6]، فإن ذلك يعني أن أصحاب الجمل قد سلكوا الطريق المعتاد بين مكة والبصرة ولم يحيدوا عنه كما زعمت الروايات السابقة.

---

(١) انظر الخريطة.

(٢) الكلبي: جمهرة النسب ٣١٣.

(٣) ياقوت الحموي: معجم البلدان ١/ ٣١٤.

(٤) الكلبي: جمهرة النسب ٣١٣.

(٥) الحربي: كتاب المناسك ٦١٢، القلقشندي: نهاية الأرب ٣٦٥.

(٦) الحربي: كتاب المناسك ٥٩٤.

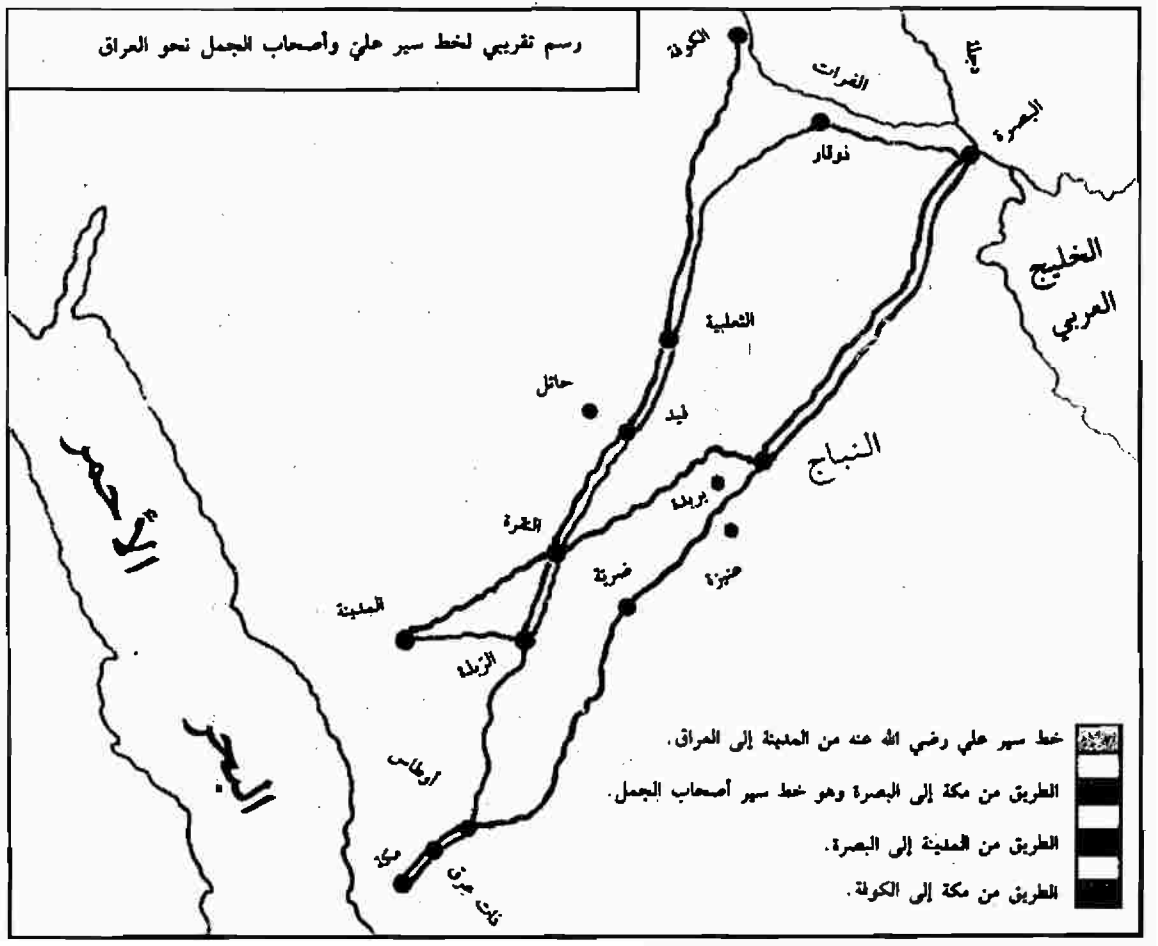

المصادر والمراجع:

١ ـ الحربي: كتاب المناسك

٢ ـ ياقوت: مُعجم البلدان

٣ ـ محمد العبودي: المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية (بلاد القصيم).

٤ ـ سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج.

موقف أهل البصرة من أصحاب الجمل (دعاة الإصلاح)

الرواية رقم (٤٧)[١]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: ومضى الناس حتى إذا عاجوا عن الطريق وكانوا بفناء البصرة، لقيهم عمير بن عبد الله التميمي[٢]، فقال: يا أم المؤمنين، أنشدك بالله أن تقدمي اليوم على قوم تراسلي منهم أحداً فيكفيكهم! فقالت: جئتني بالرأي، امرؤ صالح، قال: فعجلي ابن عامر فليدخل، فإن له صنائع فليذهب إلى صنائعه فليلقوا الناس حتى تقدمي ويسمعوا ما جئتم فيه، فأرسلته فاندس إلى البصرة، فأتى القوم، وكتبت عائشة رضي الله عنها إلى رجال من أهل البصرة، وكتبت إلى الأحنف بن قيس[٣] وصبرة بن شيمان[٤] وأمثالهم من الوجوه، ومضت حتى إذا كانت بالحفير[٥] انتظرت الجواب بالخبر، ولما

---

(١) ٤/٤٦١، ٤٦٢.

(٢) عمير بن عبد الله التميمي، لم أقف على ترجمته.

(٣) الأحنف بن قيس التميمي، أبو بحر. قيل: اسمه الضحاك، وقيل: صخر، أحد من يضرب المثل بحلمه وسؤدده، شهد صفين مع علي رضي الله عنه، توفي سنة (٦٧هـ)، وقيل سنة (٧١هـ). [الذهبي: سير الأعلام ٤/٨٦].

(٤) صبرة بن شيمان الحداني، رأس الأزد يوم الجمل مع أم المؤمنين. [ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٣٨٤].

(٥) الحفير: أول منزل من البصرة لمن يريد مكة. [ياقوت: معجم البلدان ٢/٢٧٧].

بلغ ذلك أهل البصرة دعا عثمان بن حنيف عمران بن حصين ـ وكان رجل عامة ـ وألزه بأبي الأسود الدؤلي[1] ـ وكان رجل خاصة ـ فقال: انطلقا إلى هذه المرأة فاعلما علمها وعلم من معها، فخرجا فانتهيا إليها وإلى الناس وهم بالحفير، فاستأذنا فأذنت لهما، فسلما وقالا: إن أميرنا بعثنا إليك نسألك عن مسيرك، فهل أنت مخبرتنا؟ فقالت: والله ما مثلي يسير بالأمر المكتوم ولا يغطي لبنيه الخبر، إن الغوغاء من أهل الأمصار ونزاع القبائل غزوا حرم رسول الله ﷺ وأحدثوا فيه الأحداث، وآووا فيه المحدثين، واستوجبوا فيه لعنة الله ولعنة رسوله، مع ما نالوا من قتل إمام المسلمين بلا ترة ولا عذر، فاستحلوا الدم الحرام فسفكوه، وانتهبوا المال الحرام، وأحلوا البلد الحرام، والشهر الحرام، ومزقوا الأعراض والجلود، وأقاموا في دار قوم كانوا كارهين لمقامهم ضارين مضرين، غير نافعين ولا متقين، لا يقدرون على امتناع ولا يأمنون، فخرجت في المسلمين أعلمهم ما أتى هؤلاء القوم وما فيه الناس وراءنا، وما ينبغي لهم أن يأتوا في إصلاح هذا، وقرأت: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾[2] ننهض في الإصلاح ممن أمر الله عز وجل وأمر رسول الله ﷺ، الصغير والكبير والذكر والأنثى، فهذا شأننا إلى معروف نأمركم به، ونحضكم عليه، ومنكر ننهاكم عنه، ونحثكم على تغييره.

الرواية رقم (٤٨)[3]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وأقبلت عائشة رضي الله عنها فيمن معها، حتى إذا انتهوا إلى المربد[4] ودخلوا من أعلاه أمسكوا ووقفوا حتى خرج عثمان فيمن معه، وخرج إليها

---

(١) أبو الأسود الدؤلي، ويقال: الديلي، البصري، ثقة فاضل، مخضرم، مات سنة (٦٩هـ) أخرج له الستة. [ابن حجر: التقريب ٦١٩].

(٢) النساء: ١١٤.

(٣) ٤/٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٦.

(٤) المربد: هو سوق الإبل في البصرة. [ياقوت: معجم البلدان ٥/٩٨].

من أهل البصرة من أراد أن يخرج إليها ويكون معها، فاجتمعوا بالمربد وجعلوا يثوبون حتى غص بالناس.

فتكلم طلحة وهو في ميمنة المربد ومعه الزبير وعثمان في ميسرته، فأنصتوا له، فحمد الله وأثنى عليه، وذكر عثمان رضي الله عنه وفضله والبلد وما استُحل منه، وعظم ما أتى إليه، ودعا إلى الطلب بدمه، وقال: إن في ذلك إعزاز دين الله عز وجل وسلطانه، وأما الطلب بدم الخليفة المظلوم فإنه حد من حدود الله، وإنكم إن فعلتم أصبتم وعاد أمركم إليكم، وإن تركتم لم يقم لكم سلطان، ولم يكن لكم نظام.

فتكلم الزبير بمثل ذلك، فقال من في ميمنة المربد: صدقا وبرّا، وقالا الحق، وأمرا بالحق، وقال من في ميسرته: فجرا وغدرا، وقالا الباطل، وأمرا به، قد بايعا ثم جاءا يقولان ما يقولان، وتحاثى الناس وتحاصبوا وأرهجوا[1]، فتكلمت عائشة، فحمدت الله عز وجل وأثنت عليه، وقالت: كان الناس يتجنون على عثمان رضي الله عنه ويزرون على عماله ويأتوننا بالمدينة فيستشيروننا فيما يخبروننا عنهم، ويرون حسناً من كلامنا في صلاح بينهم، فننظر في ذلك فنجده برياً تقياً وفياً ونجدهم فجرة كذبة يحاولون غير ما يظهرون، فلما قووا على المكاثرة كاثروه فاقتحموا عليه داره، واستحلوا الدم الحرام، والمال الحرام، والبلد الحرام، بلا ترة ولا عذر، إلا أن مما ينبغي لا ينبغي لكم غيره، أخذ قتلة عثمان رضي الله عنه وإقامة كتاب الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾[2].

فافترق أصحاب عثمان بن حنيف فرقتين، فقالت فرقة: صدقت والله وبرّت، وجاءت والله بالمعروف، وقال الآخرون: كذبتم والله ما نعرف ما تقولون، فتحاثوا وتحاصبوا وأرهجوا، فلما رأت ذلك عائشة انحدرت وانحدر أهل الميمنة مفارقين لعثمان حتى وقفوا في المربد في موضع

---

(١) أرهجوا: أثاروا الغبار. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٢٤٤].

(٢) آل عمران: ٢٣.

الدباغين، وبقي أصحاب عثمان على حالهم يتدافعون حتى تحاجزوا، ومال بعضهم إلى عائشة، وبقي بعضهم مع عثمان على فم السكة... وأقبل حكيم بن جبلة، وقد خرج وهو على الخيل، فأنشب القتال، وأشرع أصحاب عائشة رضي الله عنها رماحهم وأمسكوا ليمسكوا فلم ينته ولم يثن، فقاتلهم وأصحاب عائشة كافون إلا ما دافعوا عن أنفسهم، وحكيم يذمر خيله ويركبهم بها، ويقول: إنها قريش ليردينها حينها والطيش[1].

(١) بعد ذلك تسارعت الأحداث في البصرة حيث قُتل حكيم بن جبلة، وخرج عثمان بن حنيف منها ولحق بعلي رضي الله عنه. [انظر تاريخ الطبري ٤/٤٦٨، ٤٧١].

نقد النصوص

١ ـ تحدثت الروايتان رقم (٤٧) و(٤٨) عن اتهام أصحاب الجمل بأنهم ما خرجوا إلى البصرة إلا للمطالبة بدم عثمان، وأنهم لم يبايعوا علياً إلا مكرهين.

وهذه الاتهامات الموجهة إلى أصحاب الجمل لم يصح منها شيء، وقد سبق الرد عليها في مبحث (اجتماع دعاة الإصلاح في مكة ومسيرهم إلى البصرة) من هذا الفصل، ومبحث (مبايعة علي رضي الله عنه) من الفصل الثاني.

٢ ـ تحدثت الرواية رقم (٤٨) عن مقاتلة حكيم بن جبلة العبدي لأصحاب الجمل ومقتله.

وفي تعليل ذلك يقول ابن العربي:

(فقتل حكيم ولو خرج مسلماً مستسلماً لا مدافعاً، لما أصابه شيء.

وأي خير كان له في المدافعة، وعن أي شيء كان يدافع؟ وهم ما جاؤوا مقاتلين، ولا ولاة، وإنما ساعين في الصلح، راغبين في تأليف الكلمة، فمن خرج إليهم ودافعهم وقاتلهم، دافعوا عن مقصدهم كما يفعل في سائر الأسفار والمقاصد)[1].

---

(١) ابن العربي: العواصم من القواصم ١٥٧.

٣ ـ تحدثت الرواية رقم (٤٨) عن تأزم الأوضاع في البصرة وقيام المطالبين بدم عثمان رضي الله عنه بطرد والي البصرة عثمان بن حنيف رضي الله عنه.

هذا الوضع المضطرب في البصرة قد أشار إليه خليفة في الرواية التي أخرجها من طريق أبي رجاء العطاردي[١] قال: (أتيت طلحة بن عبيد الله وقد غشيه الناس وهو على دابته فجعل يقول: يا أيها الناس أتنصتون. فجعلوا يركبونه ولا ينصتون، فقال: أف أف فراش نار وذبان طمع)[٢].

وهذا الجو المضطرب في البصرة قد استغله قتلة عثمان رضي الله عنه في تفجير الأوضاع حين قدم علي رضي الله عنه إلى البصرة كما هو مبين في مبحث (دور السبئية في اندلاع القتال بين معسكر علي رضي الله عنه ومعسكر أهل البصرة).

٤ ـ تحدثت رواية سيف[٣] عن قيام أصحاب الجمل في البصرة بإرسال الرسل إلى الأمصار يخبرونهم أن البصرة قد دانت لهم، ويحثونهم على الاقتداء بهم.

وهذا الخبر غير صحيح؛ لأن أصحاب الجمل رضوان الله عليهم قد خرجوا للإصلاح بين الناس كما هو مبين بالروايات الصحيحة في مبحث (اجتماع دعاة الإصلاح في مكة ومسيرهم إلى البصرة) وليس لإشعال الفتنة وإراقة دماء المسلمين.

(١) هو عمران بن ملحان، ثقة. [ابن حجر: التقريب ٤٣٠].

(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ١٨٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤/٤٧٢، ٤٧٣.

خروج علي رضي الله عنه من المدينة إلى العراق

الرواية رقم (٤٩)[١]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: بلغ علياً الخبر ـ وهو بالمدينة ـ باجتماعهم على الخروج إلى البصرة وبالذي اجتمع عليه ملؤهم، طلحة والزبير وعائشة ومن تبعهم، وبلغه قول عائشة، وخرج علي يبادرهم في تعبيته التي كان تعبى بها إلى الشام، وخرج معه من نشط من الكوفيين والبصريين متخففين في سبعمائة رجل، وهو يرجو أن يدركهم فيحول بينهم وبين الخروج، فلقيه عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه، وقال: يا أمير المؤمنين لا تخرج منها، فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها.

الرواية رقم (٥٠)[٢]

مما كتب به إليّ السري، أن شعيباً حدثه، قال: حدثنا سيف، عن عبيدة بن معتب، عن يزيد الضخم، قال: لما أتى علياً الخبر وهو بالمدينة بأمر عائشة وطلحة والزبير أنهم قد توجهوا نحو العراق، خرج يبادر وهو

---

(١) ٤/٤٥٥.

(٢) ٤/٤٧٧.

يرجو أن يدركهم ويردهم، فلما انتهى إلى الربذة أتاه عنهم أنهم قد أمعنوا، فأقام بالربذة أياماً، وأتاه عن القوم أنهم يريدون البصرة، فسري بذلك عنه، وقال: إن أهل الكوفة أشد إلي حباً، وفيهم رؤوس العرب وأعلامهم، فكتب إليهم: إني قد اخترتكم على الأمصار وإني بالأثرة.

الرواية رقم (٥١)[1]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لما قدم علي الربذة أقام بها وسرح منها إلى الكوفة محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر[2]، وكتب إليهم: إني اخترتكم على الأمصار وفزعت إليكم لما حدث، فكونوا لدين الله أعواناً وأنصاراً، وأيدونا وانهضوا إلينا فالإصلاح ما نريد، لتعود الأمة إخواناً، ومن أحب ذلك وآثره فقد أحب الحق وآثره، ومن أبغض ذلك فقد أبغض الحق وغمصه[3].

فمضى الرجلان وبقي علي بالربذة يتهيأ، وأرسل إلى المدينة فلحقه ما أراد من دابة وسلاح، وأمر أمره وقام في الناس فخطبهم، وقال: إن الله عز وجل أعزنا بالإسلام ورفعنا به وجعلنا به إخواناً بعد ذلة وقلة وتباغُض وتباعُد، فجرى الناس على ذلك ما شاء الله، الإسلام دينهم والحق فيهم والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا إن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلهم، فنعوذ بالله من شر ما هو كائن، ثم عاد ثانية، فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة[4]، شرها فرقة تنتحلني ولا تعمل بعملي، فقد أدركتم ورأيتم، فالزموا

---

(١) ٤/٤٧٨، ٤٧٩.

(٢) محمد بن جعفر بن أبي طالب، أخو محمد بن أبي بكر لأمه أسماء بنت عميس رضي الله عنها. [ابن سعد: الطبقات ٨/٢٨٥].

(٣) غمصه: احتقره. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٨٠٦].

(٤) وفي ذلك إشارة إلى قوله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة».

دينكم واهدوا بهدي نبيكم ﷺ، واتبعوا سنته، واعرضوا ما أشكل عليكم على القرآن، فما عرفه القرآن فالزموه وما أنكر فردوه، وارضوا بالله جل وعز رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن حكماً وإماماً.

الرواية رقم (٥٢)[1]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لما أراد علي الخروج من الربذة إلى البصرة قام إليه ابن لرفاعة بن رافع[2]، فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وإلى أين تذهب بنا؟ فقال: أما الذي نريد وننوي فالإصلاح، إن قبلوا منا وأجابونا إليه، قال: فإن لم يجيبوا إليه؟ قال: ندعهم بعذرهم ونعطيهم الحق ونصبر، قال: فإن لم يرضوا؟ قال: ندعهم ما تركونا، قال: فإن لم يتركونا؟ قال: امتنعنا منهم، قال: فنعم إذاً. وقام الحجاج بن غزية الأنصاري[3] فقال: لأرضينكم بالفعل كما أرضيتني بالقول، وقال:

داركها داركها قبل الفوت وانفر بنا واسم بنا نحو الصوت
لا وألت نفسي إن هبت الموت

والله لأنصرن الله عز وجل كما سمانا أنصاراً. فخرج أمير المؤمنين وعلى مقدمته أبو ليلى بن عمر بن الجراح، والراية مع محمد بن الحنفية، وعلى الميمنة عبد الله بن عباس، وعلى الميسرة عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد، وخرج علي وهو في سبعمائة وستين، وراجز علي يرجز به:

سيروا أبابيل وحثوا السيرا إذ عزم السير وقولوا خيرا

= قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. [الحاكم: المستدرك ١/١٢٨].

(١) ٤/٤٧٩، ٤٨٠.

(٢) رفاعة بن رافع بن مالك بن العجلان، أبو معاذ الأنصاري من أهل بدر، مات في أول خلافة معاوية رضي الله عنه، أخرج له البخاري والأربعة. [ابن حجر: التقريب ٢١٠].

(٣) حجاج بن عمرو بن غزية، الأنصاري المازني، المدني، صحابي، شهد صفين مع علي رضي الله عنه، أخرج له الأربعة. [ابن حجر: التقريب ١٥٣].

حتى يلاقوا وتلاقوا خيرا نغزو بها طلحة والزبيرا

وهو أمام أمير المؤمنين، وأمير المؤمنين علي على ناقة له حمراء يقود فرساً كميتاً[1]، فتلقاهم بفيد[2] غلام من بني سعد بن ثعلبة بن عامر يدعى مرة، فقال: من هؤلاء؟ فقيل: أمير المؤمنين، فقال: سفرة فانية فيها دماء من نفوس فانية، فسمعها علي فدعاه، فقال: ما اسمك؟ قال: مرة، قال: أمر الله عيشك، كاهن سائر اليوم؟ قال: بل عائف، فلما نزل بفيد أتته أسد وطيء فعرضوا عليه أنفسهم، فقال: الزموا قراركم، في المهاجرين كفاية. وقدم رجل من أهل الكوفة فيد قبل خروج علي فقال: من الرجل؟ قال: عامر بن مطر[3]، قال: الليثي؟ قال: الشيباني، قال: أخبرني عما وراءك، قال: فأخبره حتى سأله عن أبي موسى، فقال: إن أردت الصلح فأبو موسى صاحب ذلك، وإن أردت القتال فأبو موسى ليس بصاحب ذلك، قال: والله ما أريد إلا الإصلاح حتى يرد علينا، قال: قد أخبرتك الخبر، وسكت وسكت علي.

الرواية رقم (٥٣)[4]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: ولما نزل علي الثعلبية[5] أتاه الذي لقي عثمان بن حنيف وحرسه... ولما

---

(١) الكميت: أقوى الخيل، وأشدها حوافر. [ابن منظور: لسان العرب ٢/٨١].

(٢) فيد: بلد عامر، كان محطة من محطات طريق الحاج العراقي، وتقع فيد حالياً جنوب حائل. [عاتق البلادي: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية ص ٢٣٩].

(٣) عامر بن مطر الشيباني، ذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل الكوفة، روى عن عمر وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان رضوان الله عليهم، وكان قليل الحديث. [ابن سعد: الطبقات ٦/١٢١].

(٤) ٤/٤٨١، ٤٨٢.

(٥) الثعلبية: من منازل طريق مكة من الكوفة، وتعرف حديثاً باسم البدع، وتقع في المنطقة الشمالية الشرقية من السعودية. [ياقوت: معجم البلدان ٢/٧٨، سيد عبد المجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ص ٤٤].

انتهى إلى الأساد[1] أتاه ما لقي حكيم بن جبلة وقتلة عثمان بن عفان رضي الله عنه... ولما انتهوا إلى ذي قار[2] انتهى إليه فيها عثمان بن حنيف... ولما قدم محمد ومحمد الكوفة وأتيا أبا موسى بكتاب أمير المؤمنين وقاما في الناس بأمره، لم يجابا إلى شيء، فلما أمسوا دخل ناس من أهل الحجى على أبي موسى، فقالوا: ما ترى في الخروج؟ فقال: كان الرأي بالأمس ليس باليوم، إن الذي تهاونتم به فيما مضى هو الذي جرّ عليكم ما ترون، وما بقي إنما هما أمران: القعود سبيل الآخرة والخروج سبيل الدنيا، فاختاروا، فلم ينفر إليه أحد، فغضب الرجلان وأغلظا لأبي موسى، فقال أبو موسى: والله إن بيعة عثمان رضي الله عنه لفي عنقي وعنق صاحبكما، فإن لم يكن بد من قتال لا نقاتل أحداً حتى يفرغ من قتلة عثمان حيث كانوا، فانطلقا إلى علي فوافياه بذي قار وأخبراه الخبر، وقد خرج مع الأشتر وقد كان يعجل إلى الكوفة، فقال علي: يا أشتر، أنت صاحبنا في أبي موسى والمعترض في كل شيء، اذهب أنت وعبد الله بن عباس فأصلح ما أفسدت.

فخرج عبد الله بن عباس ومعه الأشتر، فقدما الكوفة وكلما أبا موسى واستعانا عليه بأناس من الكوفة، فقال [الأشتر] للكوفيين: أنا صاحبكم يوم الجرعة وأنا صاحبكم اليوم، فجمع [أبو موسى الأشعري] الناس فخطبهم وقال: يا أيها الناس، إن أصحاب النبي ﷺ الذين صحبوه في المواطن أعلم بالله جل وعز وبرسوله ﷺ ممن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقاً فأنا مؤديه إليكم، كان الرأي ألا تستخفوا بسلطان الله عز وجل، ولا تجترئوا على الله عز وجل، وكان الرأي الثاني أن تأخذوا من قدم عليكم من المدينة فتردوهم إليها حتى يجتمعوا، وهم أعلم بمن تصلح له الإمامة منكم، ولا تكلفوا الدخول في هذا، فأما إذ كان ما كان فإنها فتنة صماء، النائم فيها خير من

---

(١) الأساد: لعلها الأساود، والأساود اسم ماء على يسار الطريق للقاصد إلى مكة من الكوفة. [ياقوت: معجم البلدان ١/ ١٧١].

(٢) ذو قار: ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة. [ياقوت: معجم البلدان ٤/ ٢٩٣].

اليقظان، واليقظان فيها خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب، فكونوا جرثومة من جراثيم العرب، فاغمدوا السيوف، وأنصلوا الأسِنَّة، واقطعوا الأوتار، وآووا المظلوم والمضطهد حتى يلتم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة.

الرواية رقم (٥٤)[1]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: ولما رجع ابن عباس إلى علي بالخبر دعا الحسن بن علي فأرسله، وأرسل معه عمار بن ياسر، فقال له: انطلق فأصلح ما أفسدت، فأقبلا حتى دخلا المسجد، فكان أول من أتاهما مسروق بن الأجدع، فسلم عليهما، وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان، علام قتلتم عثمان رضي الله عنه؟ قال: على شتم أعراضنا وضرب أبشارنا!! فقال: والله ما عاقبتم بمثل ما عوقبتم به، ولئن صبرتم لكان خيراً للصابرين. فخرج أبو موسى، فلقي الحسن فضمه إليه، وأقبل على عمار فقال: يا أبا اليقظان، أعدوت فيمن عدا على أمير المؤمنين، فأحللت نفسك مع الفجار! فقال: لم أفعل، ولم تسوؤني؟ وقطع عليهما الحسن، فأقبل على أبي موسى، فقال: يا أبا موسى، لم تثبط الناس عنا؟! فوالله ما أردنا إلا الإصلاح، ولا مثل أمير المؤمنين يخاف على شيء، فقال: صدقت بأبي أنت وأمي! ولكن المستشار مؤتمن، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب»[2]، قد جعلنا الله عز وجل إخواناً، وحرم علينا أموالنا ودماءنا، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾[3]، وقال عز وجل: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ

---

(١) ٤/ ٤٨٢ ـ ٤٨٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه من طريق أبي هريرة رضي الله عنه. [البخاري: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ١٣/ ٣٣].

(٣) النساء: ٢٩.

أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[1].

وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ﴾[2].

... وقام الحسن بن علي، فقال: يا أيها الناس، أجيبوا دعوة أميركم، وسيروا إلى إخوانكم، فإنه سيوجد لهذا الأمر من ينفر إليه، والله لأن يليه أولو النهى أمثل في العاجلة وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على ما ابتلينا به وابتليتم...

وقال الحسن: أيها الناس، إني غادٍ فمن شاء منكم أن يخرج معي على الظهر، ومن شاء فليخرج في الماء، فنفر معه تسعة آلاف، فأخذ بعضهم البر، وأخذ بعضهم الماء.

الرواية رقم (٥٥)[3]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن عمرو، عن الشعبي، قال: لما التقوا بذي قار تلقاهم علي في أناس، فيهم ابن عباس فرحب بهم، وقال: يا أهل الكوفة، أنتم وليتم شوكة العجم وملوكهم، وفضضتم جموعهم، حتى صارت إليكم مواريثهم، فأغنيتم حوزتكم، وأعنتم الناس على عدوهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك ما نريد وإن يلجوا داويناهم بالرفق، وباياناهم حتى يبدؤونا بظلم، ولن ندع أمراً فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء الله، ولا قوة إلا بالله.

❁ ❁ ❁

(١) النساء: ٢٩.
(٢) النساء: ٩٣.
(٣) ٤/٤٨٧.

نقد النصوص

١ ـ ذكرت الروايات رقم (٤٩)، (٥٠)، (٥١)، (٥٢) أن علياً رضي الله عنه خرج من المدينة في أثر أصحاب الجمل.

وهذا الأمر لم يحدث، بل الصحيح أنه خرج من المدينة عاقداً العزم على التوجه إلى الكوفة ليكون قريباً من أهل الشام ولم يخرج في أعقاب أصحاب الجمل[١].

وفيما يلي بيان هذا الأمر:

أ ـ ذكرت الروايات السابقة أن علياً رضي الله عنه حين خرج من المدينة أقام في الربذة عدة أيام، وهذا الصنيع من علي رضي الله عنه لا يشبه صنيع من خرج يطلب قوماً.

هذا فضلاً عن أن الربذة تقع على طريق الكوفة بينما أصحاب الجمل كانوا يسلكون طريق البصرة.

ب ـ ذكرت الروايات السابقة أن علياً رضي الله عنه حين خرج من الربذة توجه إلى (فيد) ثم (الثعلبية) وهذه الأماكن من منازل طريق الكوفة، وهذا يعني أن علياً لم يكن يتعقب أصحاب الجمل، وإلا لترك طريق الكوفة وقصد طريق البصرة. خاصة أن من أراد

---

(١) انظر الخريطة.

البصرة وكان خارجاً من المدينة فإنه يتجه إلى (النقرة) التي تقع على طريق الكوفة، ومنها يتيامن حتى يصل (النباج) التي تقع على طريق البصرة[1].

لكن علياً رضي الله عنه لم يفعل ذلك بل تعدى (النقرة) وواصل سيره إلى (فيد) ثم (الثعلبية) ـ انظر الخريطة.

٢ ـ ذكرت الرواية رقم (٥٠) أن عبد الله بن سلام قد أشار على علي رضي الله عنهم أجمعين بالجلوس في المدينة وعدم الذهاب إلى العراق.

وهذا الخبر يؤيده ما أخرجه أبو يعلى من طريق إسحاق بن إسرائيل: وفيه أن علياً بن أبي طالب قال: أتاني عبد الله بن سلام، وقد وضعت قدمي في الغرز، فقال لي: لا تقدم العراق فإني أخشى أن يصيبك بها ذباب السيف[2].

قال الهيثمي: ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير إسحاق بن إسرائيل فهو ثقة مأمون[3].

٣ ـ ذكرت الرواية رقم (٥٣) أن علياً رضي الله عنه توجه إلى ذي قار، وهذا الخبر يدل على أن علياً رضي الله عنه قد ترك طريق الكوفة وأخذ بالتوجه نحو البصرة[4].

والسبب في ذلك هو سماع علي رضي الله عنه بأنباء القلاقل التي حدثت في البصرة وأدت إلى خروج عامله عنها.

٤ ـ ذكرت الرواية رقم (٥٤) أن علياً رضي الله عنه أرسل الحسن وعماراً رضي الله عنهما إلى الكوفة.

---

(١) الحربي: كتاب المناسك ٣٢٢، ٥٨٧.

(٢) أبو يعلى: المسند ١/٢٥٩.

(٣) الهيثمي: مجمع الزوائد ٩/١٤١.

(٤) انظر الخريطة.

وهذا الخبر يؤيده ما أخرجه البخاري في صحيحه من طريق عبد الله بن زياد الأسدي[1] قال: (لما سار طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة بعث علي عمار بن ياسر وحسن بن علي فقدما علينا الكوفة فصعدا المنبر، فكان الحسن بن علي فوق المنبر في أعلاه وقام عمار أسفل من الحسن فاجتمعنا إليه فسمعت عماراً يقول: إن عائشة قد سارت إلى البصرة، والله إنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم ليعلم إياه تطيعون أم هي)[2].

وهنا يجدر التنبيه إلى أن كلام عمار رضي الله عنه عن عائشة رضي الله عنها مبني على عدم معرفة عمار بحقيقة خروج أصحاب الجمل وهو أنهم قد خرجوا للإصلاح بين الناس، كما هو مبين في مبحث (اجتماع دعاة الإصلاح في مكة وخروجهم إلى البصرة).

٥ ـ تحدثت الرواية رقم (٥٤) عن مسؤولية عمار بن ياسر عن مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين.

وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، هذا فضلاً عن أن هذا الخبر لم يرد من طريق صحيح.

٦ ـ تحدثت الرواية رقم (٥٤) عن اعتزال أبي موسى الأشعري رضي الله عنه للفتنة.

وهذا الخبر يؤيده ما أخرجه البخاري في صحيحه من طريق أبي وائل[3] قال: (دخل أبو موسى وأبو مسعود على عمار حيث بعثه علي إلى أهل الكوفة يستنفرهم، فقالا: ما رأيناك أتيت أمراً أكره عندنا من

---

(١) عبد الله بن زياد، أبو مريم الأسدي، الكوفي، ثقة، من الطبقة الثالثة، أخرج له البخاري وأبو داود في المسائل والترمذي. [ابن حجر: التقريب ٣٠٣].

(٢) البخاري: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥٨/١٣.

(٣) اسمه شقيق بن سلمة الأسدي، أبو وائل الكوفي، ثقة مخضرم، مات في خلافة عمر بن عبد العزيز، وله مائة سنة، أخرج له الستة. [ابن حجر: التقريب ٢٦٨].

إسراعك في هذا الأمر منذ أسلمت، فقال عمار: ما رأيت منكما منذ أسلمتما أمراً أكره عندي من إبطائكما عن هذا الأمر، وكساهما حُلَّةً ثم راحوا إلى المسجد)[1].

❁ ❁ ❁

(١) البخاري: صحيح البخاري مع شرحه فتح الباري ٥٨/١٣.

موقف السبئية من اختلاف الرسل بين علي وأصحاب الجمل (رضوان الله عليهم)

الرواية رقم (٥٦)[1]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة بإسنادهما، قالا: فلما نزلوا على ذي قار دعا علي القعقاع بن عمرو فأرسله إلى أهل البصرة وقال له: الق هذين الرجلين يابن الحنظلية ـ وكان القعقاع من أصحاب النبي ﷺ ـ فادعهما إلى الألفة والجماعة، وعظّم عليهما الفرقة، وقال له: كيف أنت صانع فيما جاءك منهما مما ليس عندك فيه وصاة مني؟ فقال: نلقاهم بالذي أمرت به، فإذا جاء منهما أمر ليس عندنا منك فيه رأي اجتهدنا الرأي، كلمناهم على قدر ما نسمع ونرى أنه ينبغي، قال: أنت لها، فخرج القعقاع حتى قدم البصرة، فبدأ بعائشة رضي الله عنها فسلم عليها، وقال: أي أمة، ما أشخصك وما أقدمك هذه البلدة؟ قالت: أي بني، إصلاح بين الناس، قال: فابعثي إلى طلحة والزبير حتى تسمعي كلامي وكلامهما، فبعثت إليهما فجاءا، فقال: إني سألت أم المؤمنين: ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد؟ فقالت: إصلاح بين الناس، فما تقولان أنتما؟ أمتابعان أم مخالفان؟ قالا: متابعان، قال: فأخبراني ما وجه هذا الإصلاح؟

---

(١) ٤/ ٤٨٧ ـ ٤٩٠.

فوالله لئن عرفنا لنصلحن، ولئن أنكرناه لا نصلح، قالا: قتلة عثمان رضي الله عنه، فإن هذا إن ترك كان تركاً للقرآن، وإن عمل به كان إحياء للقرآن... فقالت أم المؤمنين: فتقول أنت ماذا؟ قال: أقول هذا الأمر دواؤه التسكين، وإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير وتباشير رحمة، ودرك بثأر هذا الرجل، وعافية وسلامة لهذه الأمة، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر واعتسافه، كانت علامة شر، وذهاب هذا الثأر، وبعثة الله في هذه الأمة هزاهزها[1]، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح الخير كما كنتم تكونون، ولا تعرضونا للبلاء ولا تعرضوا له فيصرعنا وإياكم، وايم الله إني لأقول هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف ألا يتم حتى يأخذ الله عز وجل حاجته من هذه الأمة التي قلّ متاعها ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي حدث أمر ليس بقدر، وليس كالأمور، ولا كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة الرجل.

فقالوا: فنعم، إذاً، قد أحسنت وأصبت المقالة، فارجع فإن قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر. فرجع إلى علي فأخبره فأعجبه ذلك، وأشرف القوم على الصلح، كره ذلك من كرهه، ورضيه من رضيه.

وأقبلت وفود البصرة نحو علي حين نزل بذي قار، فجاءت وفود تميم وبكر قبل رجوع القعقاع لينظروا ما رأى إخوانهم من أهل الكوفة، وعلى أي حال نهضوا إليهم، وليعلموهم أن الذي عليه رأيهم الإصلاح، ولا يخطر لهم قتال على باب.

الرواية رقم (٥٧)[2]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: لما جاءت وفود أهل البصرة إلى أهل الكوفة ورجع القعقاع من عند أم

---

(١) الهزاهز: تحريك البلايا. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٦٨٠]، والنص فيه تصحيف ظاهر.

(٢) ٤/٤٩٣ ـ ٤٩٧، ٥٠٢ ـ ٥٠٤.

المؤمنين وطلحة والزبير بمثل رأيهم، جمع علي الناس، ثم قام على الغرائر[1]، فحمد الله عز وجل وأثنى عليه وصلّى على النبي ﷺ، وذكر الجاهلية وشقاءها والإسلام والسعادة وإنعام الله على الأمة بالجماعة بالخليفة بعد رسول الله ﷺ، ثم الذي يليه، ثم حدث هذا الحديث الذي جَرُّهُ على هذه الأمة أقوام طلبوا هذه الدنيا، حسدوا من أفاءها الله عليه على الفضيلة، وأرادوا رد الأشياء على أدبارها، والله بالغ أمره، ومصيب ما أراد، ألا وإني راحل غداً فارتحلوا، ألا ولا يرتحلن غداً أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أمور الناس، وليغن السفهاء عني أنفسهم.

فاجتمع نفر، منهم علباء بن الهيثم[2]، وعدي بن حاتم، وسالم بن ثعلبة العبسي[3]، وشريح بن أوفى بن ضبيعة[4]، والأشتر، في عدة ممن سار إلى عثمان، ورضي بسير من سار، وجاء معهم المصريون: ابن السوداء وخالد بن ملجم[5] وتشاوروا، فقالوا: ما الرأي، وهذا والله علي، وهو أبصر الناس بكتاب الله وأقرب ممن يطلب قتلة عثمان وأقربهم إلى العمل بذلك، وهو يقول ما يقول، ولم ينفر إليه إلا هم والقليل من غيرهم، فكيف به إذا شام[6] القوم وشاموه، وإذا رأوا قلتنا في كثرتهم! أنتم والله ترادون، وما أنتم بأنجى من شيء، فقال الأشتر: أما طلحة والزبير فقد عرفنا أمرهما، وأما علي فلم نعرف أمره حتى كان اليوم، ورأي الناس فينا والله واحد، وإن يصطلحوا وعلياً فعلى دمائنا، فهلموا فلنتواثب على علي فنلحقه بعثمان، فتعود فتنة يرضى منا فيها بالسكون.

---

(١) الغرائر: أوعية التبن. [ابن منظور: لسان العرب ١٨/٥].

(٢) علباء بن الهيثم السدوسي، كان سيداً بالكوفة، وهو أول من دعا إلى علي رضي الله عنه بها، قتل يوم الجمل. [ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ٢٠٥، ٣١٨].

(٣) سالم بن ثعلبة العبسي، لم أقف على ترجمته.

(٤) شريح بن أوفى بن ضبيعة العبسي، كان يرى رأي الخوارج، قتل مع أهل النهر من الخوارج سنة (٣٧هـ). [الطبري: التاريخ ٨٥، ٨٧].

(٥) صوابه عبد الرحمن بن ملجم.

(٦) شام القوم: نظر ما عندهم. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٤٥٥].

فقال عبد الله بن السوداء: بئس الرأي رأيت! أنتم يا قتلة عثمان من أهل الكوفة بذي قار ألفان وخمسمائة أو نحو من ستمائة، وهذا ابن الحنظلية وأصحابه في خمسة آلاف بالأشواق إلى أن يجدوا إلى قتالكم سبيلاً، فارقاً على ظلعك[1].

وقال علباء بن الهيثم: انصرفوا بنا عنهم ودعوهم، فإن قلّوا كان أقوى لعدوهم عليهم، وإن كثروا كان أحرى أن يصطلحوا عليكم، دعوهم وارجعوا فتعلقوا ببلد من البلدان حتى يأتيكم فيه من تتقون به، وامتنعوا من الناس.

فقال ابن السوداء: بئس ما رأيت! ود والله الناس أنكم على جديلة، ولم تكونوا مع أقوام برآء، ولو كان ذلك الذي تقول لتخطفكم كل شيء.

فقال عدي بن حاتم: والله ما رضيت ولا كرهت، ولقد عجبت من تردد من تردد عن قتله في خوض الحديث، فأما إذ وقع ما وقع ونزل من الناس بهذه المنزلة، فإن لنا عتاداً من خيول وسلاح محمولٍ، فإن أقدمتم أقدمنا وإن أمسكتم أحجمنا. فقال ابن السوداء: أحسنت!

وقال سالم بن ثعلبة: من كان أراد بما أتى الدنيا فإني لم أرد ذلك، والله لئن لقيتهم غداً لا أرجع إلى بيتي، ولئن طال بقائي إذا أنا لاقيتهم لا يزد على جزر جزور، وأحلف بالله إنكم لتفرقون السيوف فرق قوم لا تصير أمورهم إلا إلى السيف. فقال ابن السوداء: قد قال قولاً.

وقال شريح بن أوفى: أبرموا أموركم قبل أن تخرجوا، ولا تؤخروا أمراً ينبغي لكم تعجيله، ولا تعجلوا أمراً ينبغي لكم تأخيره، فإنا عند الناس بشر المنازل، فلا أدري ما الناس صانعون غداً إذا ما هم التقوا!

وتكلم ابن السوداء فقال: يا قوم، إن عزكم في خلطة الناس، فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فأنشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر، فإذا

---

(١) ارقاً على ظلعك: مثل يقال للرجل يجاوز طوره في الأمر. [العسكري: جمهرة الأمثال ١/ ١١٧].

من أنتم معه لا يجد بداً من أن يمتنع، ويشغل الله علياً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عما تكرهون. فأبصروا الرأي وتفرقوا عليه والناس لا يشعرون...

وقام علي، فخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال: يا أيها الناس، املكوا أنفسكم، كفوا أيديكم وألسنتكم عن هؤلاء القوم، فإنهم إخوانكم، واصبروا على ما يأتيكم، وإياكم أن تسبقونا فإن المخصوم غداً من خصم اليوم.

ثم ارتحل وأقدم ودفع تعبيته التي قدم فيها حتى إذا أطل على القوم بعث إليهم حكيم بن سلامة ومالك بن حبيب: إن كنتم على ما فارقتم عليه القعقاع بن عمرو فكفوا وأقرّونا ننزل وننظر في هذا الأمر.

فخرج إليه الأحنف بن قيس وبنو سعد مشمرين ولا يرون القتال مع علي بن أبي طالب، فقال: يا علي، إن قومنا بالبصرة يزعمون أنك إن ظهرت عليهم غداً أنك تقتل رجالهم وتسبي نساءهم، فقال: ما مثلي يخاف هذا منه، وهل يحل هذا إلا ممن تولى وكفر، ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾[1]، وهم قوم مسلمون! هل أنت مغنٍ عني قومك؟ قال: نعم، واختر مني واحدة من ثنتين: إما أن أكون آتيك فأكون معك بنفسي، وإما أن أكف عنك عشرة آلاف سيف، فرجع إلى الناس فدعاهم إلى القعود.

الرواية رقم (٥٨)[2]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: فخرج طلحة والزبير فنزلا بالناس من الزابوقة، في موضع قرية الأرزاق، فنزلت مضر جميعاً وهم لا يشكون في الصلح، ونزلت ربيعة فوقهم جميعاً

(١) الغاشية: ٢٢، ٢٣.

(٢) ٤/٥٠٥، ٥٠٦.

وهم لا يشكون في الصلح، ونزلت اليمن جميعاً أسفل منهم، وهم لا يشكون في الصلح، وعائشة في الحدان[1]، والناس في الزابوقة، على رؤسائهم هؤلاء وهم ثلاثون ألفاً، وردّوا حكيماً ومالكاً إلى علي، بأنا على ما فارقنا عليه القعقاع فاقدم، فخرجا حتى قدما عليه بذلك، فارتحل حتى نزل عليهم بحيالهم، فنزلت القبائل إلى قبائلهم، مضر إلى مضر، وربيعة إلى ربيعة، واليمن إلى اليمن، وهم لا يشكون في الصلح، فكان بعضهم بحيال بعض، وبعضهم يخرج إلى بعض، ولا يذكرون ولا ينوون إلا الصلح، وخرج أمير المؤمنين فيمن معه، وهم عشرون ألفاً، وأهل الكوفة على رؤسائهم الذين قدموا معهم ذا قار... فلما نزل الناس واطمأنوا، خرج علي وخرج طلحة والزبير، فتواقفوا، وتكلموا فيما اختلفوا فيه، فلم يجدوا أمراً هو أمثل من الصلح ووضع الحرب حين رأوا الأمر قد أخذ في الانقشاع، وأنه لا يدرك، فافترقوا عن موقفهم على ذلك، ورجع علي إلى عسكره، وطلحة والزبير إلى عسكرهما.

(١) الحدان: موضع قبيلة الحدان في البصرة، وهم من الأزد. [ياقوت: معجم البلدان ٢/ ٢٢٧].

نقد النصوص

١ ـ تحدثت الرواية رقم (٥٧) عن عزم ابن سبأ وأعوانه على الإيقاع بين معسكر علي رضي الله عنه ومعسكر أهل البصرة.

وهذا الفعل من ابن سبأ يعد استكمالاً لمخططه السابق الذي نفذه هو وأعوانه من المنافقين وأدى إلى مقتل عثمان رضي الله عنه.

لكن الرواية تبالغ في ذكر أعوان ابن سبأ لدرجة أنها تذكر أن الصحابي عدي بن حاتم رضي الله عنه كان منهم.

وهذه الجزئية من الخبر يعارضها ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، هذا فضلاً عن أنها لم ترد من طريق صحيح.

٢ ـ تحدثت الرواية رقم (٥٧) عن اعتزال الأحنف بن قيس للفتنة.

وهذا الخبر له ما يؤيده عن ابن حجر. وفيه أن الأحنف بن قيس قال: فقلت: والله لا أقاتلكم (يعني طلحة والزبير رضي الله عنهما) ومعكم أم المؤمنين، وحواري رسول الله ﷺ، ولا أقاتل رجلاً أمرتموني ببيعته (يعني علياً رضي الله عنه) فاعتزل القتال بين الفريقين. وذكر ابن حجر أن إسناده صحيح[1].

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ١٣/٣٨.

دور السبئية في اندلاع القتال بين معسكر علي (رضي الله عنه) ومعسكر أهل البصرة

الرواية رقم (٥٩)[١]

وكتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وبعث علي من العشي عبد الله بن عباس إلى طلحة والزبير، وبعثا هما من العشي محمد بن طلحة إلى علي، وأن يكلم كل واحد منهما أصحابه، فقالوا: نعم، فلما أمسوا ـ وذلك في جمادى الآخرة ـ أرسل طلحة والزبير إلى رؤساء أصحابهما، وأرسل علي إلى رؤساء أصحابه، ما خلا أولئك الذي هضوا[٢] عثمان، فأتوا على الصلح، وباتوا بليلة لم يبيتوا بمثلها للعافية من الذي أشرفوا عليه، والنزوع عما اشتهى الذين اشتهوا، وركبوا ما ركبوا، وبات الذين أثاروا أمر عثمان بشرّ ليلة باتوها قط، قد أشرفوا على الهلكة، وجعلوا يتشاورون ليلتهم كلها، حتى اجتمعوا على إنشاب الحرب في السر، واستسروا بذلك خشية أن يفطن بما حاولوا من الشر، فغدوا مع الغلس، وما يشعر بهم جيرانهم، انسلوا إلى ذلك الأمر انسلالاً، وعليهم ظلمة، فخرج مضريهم إلى مضريهم، وربعيهم إلى

---

(١) ٤/٥٠٦، ٥٠٧ ـ ٥١٢، ٥١٤.

(٢) هضوا عثمان: استخفوا به. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٧٣٤].

ربعيهم، ويمانيهم إلى يمانيهم، فوضعوا فيهم السلاح، فثار أهل البصرة، وثار كل قوم في وجوه أصحابهم الذين بهتوهم.

وخرج الزبير وطلحة في وجوه الناس من مضر فبعثا إلى الميمنة، وهم ربيعة يعبؤها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وإلى الميسرة عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد، وثبتا في القلب، فقال: ما هذا؟ قالوا: طرقنا أهل الكوفة ليلاً، فقالا: قد علمنا أن علياً غير منتهٍ حتى يسفك الدماء، ويستحل الحرمة، وأنه لن يطاوعنا، ثم رجعا بأهل البصرة، وقصف أهل البصرة أولئك حتى ردوهم إلى عسكرهم، فسمع علي وأهل الكوفة الصوت وقد وضعوا رجلاً قريباً من علي ليخبره بما يريدون، فلما قال: ما هذا؟ قال ذاك الرجل: ما فجئنا إلا وقوم منهم بيتونا، فرددناهم من حيث جاؤوا، فوجدنا القوم على رجل فركبونا، وثار الناس، وقال علي لصاحب ميمنته: اثت الميمنة، وقال لصاحب ميسرته: اثت الميسرة، ولقد علمت أن طلحة والزبير غير منتهيين حتى يسفكا الدماء، ويستحلا الحرمة، وأنهما لن يطاوعانا. والسبئية لا تفتر إنشاباً. ونادى علي في الناس: أيها الناس، كفوا فلا شيء، فكان من رأيهم جميعاً في تلك الفتنة ألا يقتتلوا حتى يُبدَؤوا، يطلبون بذلك الحجة، ويستحقون على الآخرين، ولا يقتلوا مدبراً، ولا يجهزوا على جريح، ولا يتبعوا. فكان مما اجتمع عليه الفريقان ونادوا فيما بينهما.

ولما انهزم الناس في صدر النهار، نادى الزبير: أنا الزبير، هلموا إلي أيها الناس. ومعه مولى له ينادي: أعن حواري رسول الله ﷺ تنهزمون؟! وانصرف الزبير نحو وادي السباع، واتبعه فرسان، وتشاغل الناس عنه بالناس، فلما رأى الفرسان تتبعه عطف عليهم، ففرق بينهم، فكرُّوا عليه، فلما عرفوه قالوا: الزبير! فدعوه، فلما نفر فيهم علباء بن الهيثم، ومر القعقاع في نفر بطلحة وهو يقول: إلي عباد الله، الصبر الصبر! قال له: يا أبا محمد، إنك لجريح، وإنك عما تريد لعليل، فادخل الأبيات، فقال: يا غلام، أدخلني وأبغني مكاناً، فأدخل البصرة ومعه غلام ورجلان، فاقتتل الناس بعده، فأقبل الناس في هزيمتهم تلك وهم يريدون البصرة، فلما رأوا الجمل أطافت به مضر عادوا قلباً كما كانوا حيث التقوا، وعادوا إلى أمر جديد، ووقفت ربيعة البصرة، منهم ميمنة ومنهم ميسرة، وقالت عائشة: خلِّ يا كعب عن البعير،

وتقدم بكتاب الله عز وجل فادعهم إليه، ودفعت إليه مصحفاً، وأقبل القوم وأمامهم السبئية يخافون أن يجري الصلح، فاستقبلهم كعب بالمصحف، وعلي من خلفهم يزعهم ويأبون إلا إقداماً، فلما دعاهم كعب رشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه، ورموا عائشة في هودجها، فجعلت تنادي: يا بنيَّ، البقية البقية ـ ويعلو صوتها كثرة ـ الله الله، اذكروا الله عز وجل والحساب، فيأبون إلا إقداماً، فكان أول شيء أحدثته حين أبوا أن قالت: أيها الناس، العنوا قتلة عثمان وأشياعهم، وأقبلت تدعو.

وضجَّ أهل البصرة بالدعاء، وسمع علي بن أبي طالب الدعاء فقال: ما هذه الضجة؟ فقالوا: عائشة تدعو ويدعون معها على قتلة عثمان وأشياعهم، فأقبل يدعو ويقول: اللهمَّ العن قتلة عثمان وأشياعهم.

الرواية رقم (٦٠)[1]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة وأبي عمرو، قالوا: وأقبل كعب بن سور حتى أتى عائشة رضي الله عنها، فقال: أدركي فقد أبى القوم إلا القتال، لعل الله يصلح بك، فركبت، وألبسوا هودجها الأدراع، ثم بعثوا جملها، وكان جملها يدعى عسكراً، حملها عليه يعلى بن أمية، اشتراه بمائتي دينار، فلما برزت من البيوت ـ وكانت بحيث تسمع الغوغاء ـ وقفت، فلم تلبث أن سمعت غوغاء شديدة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: ضجة العسكر، قالت: بخير أو بشر؟ قالوا: بشر، قالت: فأي الفريقين كانت منهم هذه الضجة فهم المهزومون.

الرواية رقم (٦١)[2]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن ابن صعصعة المزني ـ

---

(١) ٤/٥٠٧، ٥٠٨.

(٢) ٤/٥٢٩.

أو عن صعصعة ـ عن عمرو بن جأوان، عن جرير بن أشرس، قال: كان القتال يومئذ في صدر النهار مع طلحة والزبير، فانهزم الناس وعائشة توقع الصلح، فلم يفجأها إلا الناس، فأحاطت بها مضر، ووقف الناس للقتال، فكان القتال نصف النهار مع عائشة [إلى الليل، وكان أول مقتول بين يدي عائشة وعلي][1] كعب بن سور أخذ مصحف عائشة وعلي فندر بين الصفين يناشدهم الله عز وجل في دمائهم، وأُعطي درعه فرمى بها تحته، وأُتي بترسه فتنكبه، فرشقوه رشقاً واحداً، فقتلوه رضي الله عنه، ولم يمهلوهم أن شدوا عليهم، والتحم القتال، فكان أول مقتول بين يدي عائشة من أهل الكوفة.

الرواية رقم (٦٢)[2]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية، عن أبيه، قال: وجاء محمد بن طلحة فأخذ بزمام الجمل، فقال: يا أمتاه، مريني بأمرك، قالت: آمرك أن تكون كخير بني آدم، قال: فحمل فجعل لا يحمل عليه أحد إلا حمل عليه ويقول: (حم لا ينصرون)، واجتمع عليه نفر، فكلهم ادَّعى قتله: المكعبر الأسدي[3]، والمكعبر الضبي[4]، ومعاوية بن شداد العبسي[5]، وعفان بن الأشقر النصري[6]، فأنفذه بعضهم بالرمح، ففي ذلك يقول قاتله منهم:

وأشعث قوام بآيات ربه ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلم

---

(١) بياض في الأصل، والتكملة من سيف بن عمر: كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي (تحقيق د. قاسم السامرائي) ٣٣٥.

(٢) ٤/٥٢٦.

(٣) المكعبر الأسدي، لم أقف على ترجمته.

(٤) المكعبر الضبي، لم أقف على ترجمته.

(٥) معاوية بن شداد العبسي، لم أقف على ترجمته.

(٦) عفان بن الأشقر النصري، لم أقف على ترجمته.

هتكت له بالرمح جيب قميصه فخرَّ صريعاً لليدين وللفم
يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم
على غير شيء غير أن ليس تابعاً علياً ومن لا يتبع الحق يندم

الرواية رقم (٦٣)[1]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: كان من آخر من قاتل ذلك اليوم زفر بن الحارث، فزحف إليه القعقاع، فلم يبق حول الجمل عامري مكتهل إلا أصيب، يتسرعون إلى الموت، وقال القعقاع: يا بجير بن دلجة[2]، صح بقومك فيعقروا الجمل قبل أن يصابوا وتصاب أم المؤمنين، فقال: يال ضبة، يا عمرو بن دلجة[3]، ادع بي إليك، فدعا به، فقال: أنا آمن حتى أرجع؟ قال: نعم، قال: فاجتث ساق البعير، فرمى بنفسه على شقه وجرجر البعير، وقال القعقاع لمن يليه: أنتم آمنون، واجتمع هو وزفر على قطع بطان البعير، وحملا الهودج فوضعاه، ثم أطافا به، وتفار من وراء ذلك من الناس.

الرواية رقم (٦٤)[4]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن عطية، عن أبيه، قال: لما أمسى الناس وتقدم علي وأحيط بالجمل ومن حوله، وعقره بجير بن دلجة، وقال [علي]: إنكم آمنون، كفَّ بعض الناس عن بعض.

---

(١) ٤/٥٢٧.

(٢) بجير بن دلجة الضبي، من أهل الكوفة. [الطبري: التاريخ ٤/٥٢٣].

(٣) عمرو بن دلجة، لم أقف على ترجمته.

(٤) ٤/٥٢٧.

نقد النصوص

١ ـ أشارت الرواية رقم (٥٨) من المبحث السابق والرواية رقم (٥٩) من هذا المبحث إلى نجاح مساعي الصلح التي قام بها أصحاب الجمل وساهم فيها القعقاع رضي الله عنه.

ولكن فجأة تندلع الحرب بين معسكر أهل البصرة ومعسكر علي رضي الله عنه في الوقت الذي كان فيه الطرفان قد اتفقا على الصلح، مما يؤكد أن هناك أمراً طارئاً قد حدث وأدى إلى نشوب القتال بين الفريقين.

وهذا الأمر قد فسرته الرواية رقم (٥٩) حين أشارت إلى دور ابن سبأ وأعوانه في إنشاب القتال بين الطائفتين.

وقد أشار إلى هذا الأمر ابن حزم بقوله:

(.. وكل طائفة تظن ولا تشك أن الأخرى بدأتها بالقتال فاختلط الأمر اختلاطاً لم يقدر أحد على أكثر من الدفاع عن نفسه.

والفسقة من قتلة عثمان لا يفترون من شب الحرب وإضرامها.

فكلتا الطائفتين مصيبة في غرضها ومقصدها، مدافعة عن نفسها)[1].

كما أشار إليه ابن العربي بقوله:

---

(١) ابن حزم: الفصل ٤/٢٣٩.

(وقدم علي البصرة، وتدانوا ليتراءوا، فلم يتركهم أصحاب الأهواء، وبادروا بإراقة الدماء... كل ذلك حتى لا يقع برهان، ولا تقف الحال على بيان، ويخفى قتلة عثمان، وإن واحداً في الجيش يفسد تدبيره فكيف بألف)[1].

وقد ذهب إلى ذلك أيضاً ابن تيمية فقال:

(... ثم إن القتلة أحسوا باتفاق الأكابر، فأثاروا الفتنة، وبدؤوا بالحملة على عسكر طلحة والزبير وقالوا لعلي: إنهم حملوا قبل ذلك، فقاتل كل من هؤلاء وهؤلاء دفعاً عن نفسه، ولم يكن لعلي ولا طلحة والزبير غرض في القتال أصلاً، وإنما كان الشر من قتلة عثمان)[2].

٢ ـ تحدثت الرواية رقم (٥٩) عن قيام الزبير رضي الله عنه بالتحريض على القتال، ثم إنه لما رأى الهزيمة على أهل البصرة ترك المعركة ومضى.

وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، كما أنه يخالف الروايات الصحيحة التي تنص على أن أصحاب الجمل ما خرجوا إلا للإصلاح، فكيف ينسجم هذا الفعل من الزبير رضي الله عنه مع الهدف الذي خرج من مكة إلى البصرة من أجله ألا وهو الإصلاح بين الناس.

وبالفعل فإن موقف الزبير رضي الله عنه كان السعي في الإصلاح حتى آخر لحظة، وهذا ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حرب بن أبي الأسود الديلي. وفيه أن الزبير رضي الله عنه سعى في الصلح بين الناس ولكن لما قامت المعركة واختلف أمر الناس مضى الزبير وترك القتال[3].

وهذا الفعل من الزبير رضي الله عنه هو الذي ينسجم مع مقصده الذي قدم البصرة من أجله.

---

(١) ابن العربي: العواصم من القواصم ١٥٩.
(٢) ابن تيمية: منهاج السنة ٦/ ٤٦٥، ٤٦٦.
(٣) الحاكم: المستدرك ٣/ ٣٦٦.

أخيراً تجدر الإشارة إلى ما نسب إلى علي رضي الله عنه أنه قال للزبير يوم الجمل: (أنشدك الله هل سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقاتله وأنت له ظالم؟ فقال: لم أذكر، ثم مضى الزبير منصرفاً)[1].

وهذا الخبر قد أخرجه كل من أبي يعلى[2] ـ من طريق واحد ـ والحاكم[3] ـ من خمس طرق ـ.

وبدراسة الروايات السابقة اتضح ما يلي:

أ ـ ضعف إسناد رواية أبي يعلى؛ لأن فيها عبد الملك بن مسلم الرقاشي، الذي قال عنه البخاري: لم يصح حديثه[4].

وقال عنه ابن حجر: لين الحديث[5].

ب ـ أما الروايات التي أخرجها الحاكم فإن بيانها كما يلي:

١ ـ ضعف إسناد الرواية الأولى؛ لأن فيها محمد بن سليمان العابد. وفي ذلك يقول الذهبي: العابد لا يعرف والحديث فيه نظر[6].

٢ ـ ضعف إسناد الرواية الثانية والثالثة؛ لأنها من مراسيل أبي حرب بن أبي الأسود الديلي.

حيث ذكر الحافظ المزي ما يفيد أن رواية أبي حرب عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرسلة؛ لأن أبا حرب لا يروي عن علي بن أبي طالب مباشرة بل يروي عنه بواسطة أبيه أبي الأسود الديلي[7].

---

(١) الحاكم: المستدرك ٣/ ٣٦٦.
(٢) أبو يعلى: المسند ١/ ٣٢.
(٣) الحاكم: المستدرك ٣/ ٣٦٦، ٣٦٧.
(٤) المزي: تهذيب الكمال ٢/ ٨٦٣.
(٥) ابن حجر: التقريب ٣٦٥.
(٦) الذهبي: تلخيص المستدرك (مطبوع بهامش مستدرك الحاكم ٣/ ٣٦٦).
(٧) المزي: تهذيب الكمال ٣/ ١٥٩٧.

٣ ـ ضعف إسناد الرواية الرابعة والخامسة؛ لأن فيها عبد الملك بن مسلم الرقاشي الذي سبق الحديث عنه.

مما سبق يتضح أن الحديث المنسوب إلى الرسول ﷺ بخصوص مقاتلة الزبير لعلي رضي الله عنهما يعد ضعيف الإسناد.

٣ ـ تحدثت الرواية رقم (٥٩) عن قيام طلحة رضي الله عنه بتحريض الناس على القتال، ثم إصابته وموته.

وهذا الخبر المتعلق بتحريض طلحة رضي الله عنه على القتال مردود بما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، وينسحب عليه ما قيل عن الزبير رضي الله عنه في الفقرة السابقة، وهو أنهم رضوان الله عليهم قد أتوا إلى البصرة من أجل الإصلاح وليس من أجل إراقة الدماء.

أما عن مقتل طلحة رضي الله عنه فقد كان عند بدء القتال كما صرح بذلك الأحنف بن قيس[١].

أما عن تسمية قاتل طلحة رضي الله عنه فإن أغلب الروايات تشير إلى أنه مروان بن الحكم[٢].

ولكن بعد دراسة تلك الروايات اتضح لي براءة مروان بن الحكم من تلك التهمة، وأن القاتل[٣] هو أحد أفراد جيش علي رضي الله عنه، ومن الأدلة على ذلك:

أ ـ ما أخرجه الحاكم من طريق أبي حبيبة مولى طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه قال:

(دخلت على عليٍّ مع عمران بن طلحة بعدما فرغ من أصحاب الجمل، قال: فرحّب به وأدناه وقال: إني لأرجو أن يجعلني الله وأباك من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ

---

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١٨٥.

(٢) ابن سعد: الطبقات ٣/ ٢٢٣، خليفة بن خياط: التاريخ ١٨٥، ابن شبة: تاريخ المدينة ٤/ ١١٧٠، البلاذري: أنساب الأشراف ٢/ ٢٤٦، ٢٤٧.

(٣) ربما كان أحد السبأية المندسّين في جيش علي رضي الله عنه.

إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ ... فقال رجلان جالسان إلى ناحية، أحدهما الحارث الأعور: الله أعدل من ذلك، أن نقتلهم ويكونوا إخواننا في الجنة.

قال: فوما أبعد أرض الله وأسحقها، فمن هو إذا لم أكن أنا وطلحة؛ يا ابن أخي: إذا كانت لك حاجة فأتنا)[1].

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[2]، ووافقه الذهبي[3].

ب ـ استبعاد ابن كثير رحمه الله لهذا الأمر وتشكيكه فيه بقوله: (ويقال: إن الذي رماه بهذا السهم مروان بن الحكم.

وقد قيل: إن الذي رماه بهذا السهم غيره، وهذا عندي أقرب، وإن كان الأول مشهوراً، والله أعلم)[4].

جـ ـ بطلان السبب الذي قيل إن مروان قتل طلحة رضي الله عنه من أجله وهو اتهام مروان لطلحة بأنه أعان على قتل عثمان رضي الله عنه.

وهذا السبب المزعوم غير صحيح حيث إنه لم يثبت من طريق صحيح أن أحداً من الصحابة قد أعان على قتل عثمان رضي الله عنه.

د ـ كون مروان وطلحة رضي الله عنه في صف واحد يوم الجمل وهو صف المنادين بالإصلاح بين الناس.

٤ ـ ذكرت بعض روايات سيف[5] أن عائشة رضوان الله عليها كانت تحرض الناس على القتال.

وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن، هذا فضلاً عن أن عائشة رضي الله عنها لم تأتِ للقتال بل جاءت للإصلاح بين الناس.

---

(١)(٢) الحاكم: المستدرك على الصحيحين ٣/٣٧٧.

(٣) الذهبي: تلخيص المستدرك ٣/٣٧٧.

(٤) ابن كثير: البداية والنهاية ٧/٢٤٨.

(٥) الطبري: التاريخ ٤/٥١٤، ٥١٦، ٥٣٩.

وقد أشارت الروايتان رقم (٥٩)، (٦٠) إلى ما ينسجم مع هذا المقصد الذي خرجت عائشة رضوان الله عليها من مكة إلى البصرة من أجله فذكرت أن عائشة رضي الله عنها كانت تناشد الناس بالكف عن القتال ومعها قاضي البصرة كعب بن سور رافعاً المصحف، لكن مثيري الفتنة بادروا بقتل كعب لئلا يقع الصلح، ثم رموا هودج عائشة رضي الله عنها بغية قتلها لكن الله نجاها.

وهذا مصداق قوله ﷺ لنسائه:

(ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب[١]، تخرج فتنبحها كلاب الحوأب يقتل عن يمينها وعن يسارها قتلى كثير، ثم تنجو بعدما كادت)[٢].

(قال الألباني: صحيح الإسناد)[٣].

أما فيما يتعلق بمحاولة كعب بن سور رحمه الله إطفاء الفتنة، ثم مقتله فقد ذكرها خليفة بن خياط في تاريخه[٤].

بعد ذلك أخذت عائشة رضي الله عنها وأهل البصرة في الدعاء على قتلة عثمان رضي الله عنه فسمعهم علي رضي الله عنه فراح يدعو معهم كما أشارت الرواية رقم (٥٩).

وهذا الخبر يؤيده ما أخرجه الإمام أحمد، من طريق محمد بن الحنفية، قال: (بلغ علياً أن عائشة تلعن قتلة عثمان في المربد، قال: فرفع يديه حتى بلغ بهما وجهه فقال:

---

(١) الأدبب: كثير الشعر. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٠٦].
(٢) الهيثمي: مجمع الزوائد ٧/ ٢٣٧.
(٣) الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٧٧٥.
(٤) خليفة بن خياط: التاريخ ١٨٥.

وأنا ألعن قتلة عثمان لعنهم الله في السهل والجبل. قال مرتين أو ثلاثاً)[1].

(قال المحقق، صحيح الإسناد)[2]

وفي هذا الخبر دلالة على أن كلتي الطائفتين المتقاتلتين ليس عندها شك في أن قتلة عثمان رضي الله عنه هم الذين تسببوا في نشوب القتال.

٥ ـ تحدثت الروايتان رقم (٦٣)،(٦٤) من هذا المبحث والروايات رقم (٦٥)، (٦٦)، (٦٧) من المبحث القادم عن عقر جمل عائشة رضي الله عنها وإنزال هودجها وإدخالها البصرة وإقامتها في منزل عبد الله بن خلف الخزاعي رضي الله عنه.

وهذا الخبر يؤيده ما أخرجه ابن أبي شيبة بإسناد جيد[3]، وفيه أن عبد الله بن بديل الخزاعي رضي الله عنه قال:

(اعقروا الجمل. فعقروه، قال: فنزلت أنا وأخوها محمد بن أبي بكر واحتملنا الهودج حتى وضعناه بين يدي علي، فأمر به علي فأدخل في منزل عبد الله بن بديل)[4].

وأخيراً تجدر الإشارة إلى نقطتين وردتا في الروايات التي سبقت الإشارة إليها وهما:

أ ـ ما ذكر من أن القعقاع رضي الله عنه هو الذي أمر بعقر الجمل بينما رواية ابن أبي شيبة تشير إلى أن الذي أمر بذلك هو عبد الله بن بديل الخزاعي رضي الله عنه.

وهذا الأمر محمول على أن الذين سعوا في هذا الأمر أكثر من شخص.

---

(١)(٢) الإمام أحمد: فضائل الصحابة ١/ ٤٥٥.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٢.

(٤) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٥٤٥.

ب ـ ما ذكر من أن عائشة نزلت في بيت عبد الله بن خلف الخزاعي رضي الله عنه.

وهذا الخبر تعارضه رواية ابن أبي شيبة التي تعد أصح ما في الباب حيث ذكرت أن عائشة رضي الله عنها نزلت في دار عبد الله بن بديل الخزاعي رضي الله عنه.

٦ ـ ذكرت بعض روايات سيف[١] أن وقعة الجمل كانت يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة.

فيما يتعلق بتاريخ وقعة الجمل فقد اختلف حوله كالتالي:

١ ـ أخرج خليفة من طريق قتادة أن الفريقين التقيا يوم الخميس في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكانت الوقعة يوم الجمعة[٢].

٢ ـ أخرج عمر بن شبة أن الوقعة كانت في النصف من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[٣].

٣ ـ أخرج الطبري من طريق الواقدي أن الوقعة كانت يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين[٤].

٤ ـ ذكر المسعودي أن الوقعة كانت يوم الخميس في العاشر من جمادى الأولى[٥].

غير أن أرجح الأقوال عندي هو ما أخرجه خليفة بن خياط من طريق قتادة حيث أن إسناد روايته يعد أصح ما في الباب.

---

(١) الطبري: التاريخ ٤/ ٥١٤، ٥٤٢.

(٢) خليفة بن خياط: التاريخ ١٨٤، ١٨٥.

(٣) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦١.

(٤) الطبري: التاريخ ٤/ ٥٣٤.

(٥) المسعودي: مروج الذهب ٢/ ٣٦٠.

نتائج موقعة الجمل

الرواية رقم (٦٥)[١]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن راشد السلمي، عن ميسرة أبي جميلة، أن محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر أتيا عائشة وقد عقر الجمل، فقطعا غرضة[٢] الرحل، واحتملا الهودج، فنحياه حتى أمرهما علي فيه أمره بعد، قال: أدخلاها البصرة، فأدخلاها دار عبد الله بن خلف الخزاعي[٣].

الرواية رقم (٦٦)[٤]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن الصعب بن حكيم بن شريك، عن أبيه، عن جده، قال: انتهى محمد بن أبي بكر ومعه عمار، فقطع الأنساع[٥] عن الهودج، واحتملاه، فلما وضعاه أدخل محمد يده

---

(١) ٤/ ٥٣٣.

(٢) غرضة الرحل: ما يحزم به. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٨٣٦].

(٣) عبد الله بن خلف الخزاعي، كان كاتباً لعمر بن الخطاب رضي الله عنه على ديوان البصرة، ليس له صحبة. [ابن عبد البر: الاستيعاب ٦/ ١٦٥].

(٤) ٤/ ٥٣٤.

(٥) الأنساع: السيور التي يشد بها الرحل. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ٩٩٠].

وقال: أخوك محمد، فقالت: مذمم، قال: يا أخية، هل أصابك شيء؟ قالت: ما أنت من ذاك؟ قال: فمن إذاً! الضلال؟ قالت: بل الهداة، وانتهى إليها علي فقال: كيف أنت يا أمَه؟ قالت: بخير، قال: يغفر الله لك، قالت: ولك.

الرواية رقم (٦٧)[١]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: ولما كان من آخر الليل خرج محمد بعائشة حتى أدخلها البصرة، فأنزلها في دار عبد الله بن خلف الخزاعي على صفية ابنة الحارث بن طلحة بن أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار[٢]، وهي أم طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف[٣].

الرواية رقم (٦٨)[٤]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: ومضى الزبير في صدر يوم الهزيمة راحلاً نحو المدينة، فقتله ابن جرموز.

الرواية رقم (٦٩)[٥]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وأقام علي بن أبي طالب في عسكره ثلاثة أيام لا يدخل البصرة، وندب الناس

---

(١) ٤/ ٥٣٤.

(٢) صفية بنت الحارث بن طلحة العبدرية، صحابية، ذكرها ابن حبان في التابعين، أخرج لها أبو داود والترمذي وابن ماجه. [ابن حجر: التقريب ٧٤٩].

(٣) طلحة الطلحات بن عبد الله بن خلف الخزاعي، كان من رجال سعيد بن عثمان عامل خراسان في خلافة معاوية رضي الله عنه. [الطبري: التاريخ ٥/ ٣٠٥].

(٤) ٤/ ٥٣٥.

(٥) ٤/ ٥٣٨.

إلى موتاهم، فخرجوا إليهم فدفنوهم، فطاف علي معهم في القتلى، فلما أتى بكعب بن سور قال: زعمتم أنما خرج معهم السفهاء، وهذا الحبر قد ترون. وأتى على عبد الرحمن بن عتاب فقال: هذا يعسوب القوم ـ يقول الذي كانوا يطيفون به ـ يعني أنهم قد كانوا اجتمعوا عليه، ورضوا به لصلاتهم. وجعل علي كلما مر برجل فيه خير قال: زعم من زعم أنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء، هذا العابد المجتهد. وصلى على قتلاهم من أهل البصرة وعلى قتلاهم من أهل الكوفة، وصلى على قريش من هؤلاء وهؤلاء، فكانوا مدنيين ومكيين، ودفن علي الأطراف في قبر عظيم، وجمع ما كان في العسكر من شيء، ثم بعث به إلى مسجد البصرة: أن من عرف شيئاً فليأخذه إلا سلاحاً كان في الخزائن عليه سمة السلطان، فإنه لما بقي لم يعرف [قال لأصحابه][1]: خذوا ما أجلبوا به عليكم من مال الله عز وجل، لا يحل لمسلم من مال المسلم المتوفى شيء، وإنما كان ذلك السلاح في أيديهم من غير تنفيل من السلطان.

الرواية رقم (٧٠)[2]

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: كان قتلى الجمل حول الجمل عشرة آلاف، نصفهم من أصحاب علي، ونصفهم من أصحاب عائشة.

الرواية رقم (٧١)[3]:

كتب إليّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: ودخل علي البصرة يوم الإثنين، فانتهى إلى المسجد، فصلى فيه، ثم دخل البصرة، فأتاه الناس، ثم راح إلى عائشة على بغلته، فلما انتهى إلى دار

---

(١) يوجد سقط، والتكملة من سيف بن عمر: كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي (تحقيق د. قاسم السامرائي) ٣٥٣.

(٢) ٤/ ٥٣٩.

(٣) ٤/ ٥٣٩، ٥٤٠.

عبد الله بن خلف وهي أعظم دار بالبصرة، وجد النساء يبكين على عبد الله وعثمان ابني خلف مع عائشة، وصفية ابنة الحارث مختمرة تبكي، فلما رأته قالت: يا علي، يا قاتل الأحبة، يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله منه! فلم يرد عليها شيئاً، ولم يزل على حاله حتى دخل على عائشة، فسلم عليها، وقعد عندها، وقال لها: جبهتنا صفية، أما إني لم أرها منذ كانت جارية حتى اليوم، فلما خرج علي أقبلت عليه فأعادت عليه الكلام، فكف بغلته وقال: أما لهممت ـ وأشار إلى الأبواب من الدار ـ أن أفتح هذا الباب وأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه، ثم هذا فأقتل من فيه ـ وكان أناس من الجرحى قد لجؤوا إلى عائشة، فأخبر علي بمكانهم عندها، فتغافل عنهم ـ فسكتت.

الرواية رقم (٧٢)[1]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: بايع الأحنف من العشي لأنه كان خارجاً هو وبنو سعد، ثم دخلوا جميعاً البصرة، فبايع أهل البصرة على راياتهم، وبايع علي أهل البصرة حتى الجرحى والمستأمنة، فلما رجع مروان لحق بمعاوية، وقال قائلون: لم يبرح المدينة حتى فرغ من صفين.

قالا: ولما فرغ علي من بيعة أهل البصرة نظر في بيت المال فإذا فيه ستمائة ألف وزيادة، فقسمها على من شهد معه (الوقعة)، فأصاب كل رجل منهم خمسمائة خمسمائة، وقال: لكم إن أظفركم الله عز وجل بالشام مثلها إلى أعطياتكم. وخاض في ذلك السبئية، وطعنوا على علي من وراء وراء.

الرواية رقم (٧٣)[2]

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد بن راشد، عن

---

(١) ٤/٥٤١.

(٢) ٤/٥٤١.

أبيه، قال: كان من سيرة علي ألا يقتل مدبراً ولا يذفف على جريح، ولا يكشف ستراً، ولا يأخذ مالاً، فقال قوم يومئذ: ما يحل لنا دماءهم، ويحرم علينا أموالهم؟ فقال علي: القوم أمثالكم، من صفح عنا فهو منا، ونحن منه، ومن لجَّ حتى يصاب فقتاله مني على الصدر والنحر، وإن لكم في خُمسه لغنى، فيومئذٍ تكلمت الخوارج.

الرواية رقم (٧٤)[١]:

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: قصدت عائشة مكة فكان وجهها من البصرة، وانصرف مروان والأسود بن أبي البختري[٢] إلى المدينة من الطريق، وأقامت عائشة بمكة إلى الحج، ثم رجعت إلى المدينة.

الرواية رقم (٧٥)[٣]:

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وجهز علي عائشة بكل شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، وأخرج معها كل من نجا ممن خرج معها إلا من أحب المقام، واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، وقال: تجهز يا محمد، فبلّغها، فلما كان اليوم الذي ترتحل فيه، جاءها حتى وقف لها، وحضر الناس، فخرجت على الناس وودعوها وودعتهم، وقالت: يا بني، تعتب بعضنا على بعض استبطاء واستزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه والله ما كان بيني وبين علي في القديم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال علي: يا أيها الناس، صدقت

---

(١) ٤/٥٤٢.

(٢) الأسود بن أبي البختري، اصطلح عليه أهل المدينة ليصلي بهم مدة الخلاف بين علي ومعاوية رضي الله عنهما. [ابن حزم: جمهرة أنساب العرب ١١٧].

(٣) ٤/٥٤٤.

والله وبرَّت، ما كان بيني وبينها إلا ذلك، وإنها لزوج نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.

وخرجت يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً، وسرح بنيه معها يوماً.

الرواية رقم (٧٦)[1]:

كتب إليَّ السري، عن شعيب، عن سيف، عن محمد وطلحة، قالا: وكتب علي بالفتح إلى عامله بالكوفة حين كتب في أمرها [وهي][2] يومئذ بمكة:

من عبد الله علي أمير المؤمنين. أما بعد، فإنا التقينا في النصف من جمادى الآخرة بالخريبة ـ فناء من أفنية البصرة ـ فأعطاهم الله عز وجل سنة المسلمين، وقتل منا ومنهم قتلى كثيرة، وأصيب ممن أصيب منا ثمامة بن المثنى، وهند بن عمرو، وعلباء بن الهيثم، وسيحان وزيد ابنا صوحان، ومحدوج.

وكتب عبيد الله بن رافع[3] وكان الرسول زفر بن قيس[4] إلى الكوفة بالبشارة في جمادى الآخرة.

---

(١) ٤/ ٥٤٢.

(٢) في الأصل (وهو) والتصويب من سيف بن عمر: كتاب الجمل ومسير عائشة وعلي (تحقيق د. قاسم السامرائي) ٣٦١. والمقصود بعبارة (في أمرها وهي يومئذ بمكة) عائشة رضي الله عنها.

(٣) صوابه عبيد الله بن أبي رافع المدني، مولى رسول الله ﷺ، كان كاتب علي رضي الله عنه، وهو ثقة، من الطبقة الثالثة، أخرج له الستة. [ابن حجر: التقريب ٣٧٠].

(٤) زفر بن قيس، لم أقف على ترجمته.

نقد النصوص

١ ـ ذكرت الرواية رقم (٥٨) أن تعداد جيش أهل البصرة كان (ثلاثون ألفاً) وأن تعداد جيش علي رضي الله عنه كان (عشرون ألفاً).

كما ذكرت الرواية رقم (٧٠) أن قتلى الجمل كانوا (عشرة آلاف) نصفهم من معسكر علي رضي الله عنه ونصفهم من معسكر أهل البصرة.

فيما يتعلق بتعداد الجيشين فإن هناك مبالغة في تلك الأرقام. ويؤيد ذلك ما أخرجه الطبري[١]، بإسناد حسن[٢]، من طريق محمد بن الحنفية.

وفيه أن تعداد جيش علي رضي الله عنه كان (تسعة آلاف وسبعمائة رجل تقريباً).

فإذا علمنا أن الغلبة في معركة الجمل كانت لمعسكر علي رضي الله عنه فإنه من المرجح أن تعداد جيش أهل البصرة كان قريباً من تعداد جيش علي رضي الله عنه.

أما فيما يتعلق بتعداد القتلى في معركة الجمل فقد اختلفت الروايات حوله كالتالي:

---

(١) الطبري: التاريخ ٤/٥٠٦.

(٢) د. يحيى اليحيى: مرويات أبي مخنف ٢٦٣.

أ ـ أخرج خليفة[1] عن عدد قتلى الجمل عدة أقوال هي:

سبعة آلاف، ثلاثة عشر ألفاً، عشرون ألفاً.

ب ـ أخرج اليعقوبي[2] أن قتلى الجمل نيف وثلاثون ألفاً.

جـ ـ أخرج المسعودي[3] أن عدد القتلى كان ثمانية عشر ألفاً.

وهذه الأرقام التي ذكرتها المصادر التاريخية أرقام مبالغ فيها، وقد تسبب في ذلك عدة عوامل هي كالتالي:

١ ـ توجع المسلمين وتألمهم لوقوع هذه المعركة لكونها أول قتال يقع بين أهل القبلة.

٢ ـ حضور عائشة وعلي وطلحة والزبير رضوان الله عليهم لهذه المعركة.

٣ ـ ما نتج عن هذه المعركة من استشهاد اثنين من كبار الصحابة هما طلحة والزبير رضي الله عنهما.

٤ ـ وللمسعودي في تعليل ذلك كلام طيب ـ لكنه لم يعمل به ـ فيما يلي نصه:

(وقد تنازع الناس في مقدار من قتل من الفريقين فمن مقلل ومن مكثر... على حسب ميل الناس وأهوائهم إلى كل فريق)[4].

أما عن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل فقد كان ضئيلاً جداً للأسباب التالية:

١ ـ قصر مدة القتال. حيث أخرج ابن أبي شيبة[5] بإسناد

---

(١) خليفة بن خياط: التاريخ ١٨٦.

(٢) اليعقوبي: التاريخ ٢/ ١٨٣.

(٣) المسعودي: مروج الذهب ٢/ ٣٦٠.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ٢/ ٣٦٠.

(٥) ابن أبي شيبة: المصنف ٧/ ٥٤٦.

صحيح[1]، أن القتال نشب بعد الظهر فما غربت الشمس وحول الجمل أحد ممن كان يذب عنه.

٢ ـ الطبيعة الدفاعية للقتال حيث كان كل فريق يدافع عن نفسه ليس إلا.

٣ ـ تحرج كل فريق من القتال لما يعلمون من عظم حرمة دم المسلم.

٤ ـ قياساً بعدد شهداء المسلمين في معركة اليرموك (ثلاثة آلاف شهيد)[2] ومعركة القادسية (ثمانية آلاف وخمسمائة شهيد)[3] ـ وهي التي استمرت عدة أيام ـ فإن العدد الحقيقي لقتلى معركة الجمل يعد ضئيلاً جداً، هذا مع الأخذ بالاعتبار شراسة تلك المعارك وحِدَّتها لكونها من المعارك الفاصلة في تاريخ الأمم.

٥ ـ أورد خليفة بن خياط بياناً بأسماء من حفظ من قتلى يوم الجمل فكانوا قريباً من المائة[4].

فلو فرضنا أن عددهم كان مائتين وليس مائة.

فإن هذا يعني أن قتلى معركة الجمل لا يتجاوز المائتين. وهذا هو الرقم الذي ترجح عندي من خلال الحيثيات السابقة.

٢ ـ تحدثت الرواية رقم (٦٨) عن قيام ابن جرموز بقتل الزبير رضي الله عنه.

وهذا الخبر يؤيده ما أخرجه الإمام أحمد[5]، وفيه أن ابن جرموز

---

(١) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٢.

(٢) الطبري: التاريخ ٣/ ٤٠٢.

(٣) الطبري: التاريخ ٣/ ٥٦٤.

(٤) خليفة بن خياط: التاريخ ١٨٧/ ١٩٠.

(٥) أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة ٢/ ٧٣٧.

استأذن علي رضي الله عنه فقال: من هذا؟ فقال: ابن جرموز يستأذن، فقال: ائذنوا له ليدخل قاتل الزبير النار، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لكل نبي حواريٌ وإن حواريّ الزبير).

(قال المحقق: إسناده حسن)[1].

وفي تعليل هذه الجرأة من ابن جرموز على قتل الزبير رضي الله عنه يقول الحافظ أبو نعيم الأصبهاني:

(وكثر في أيامه ـ أيام عثمان رضي الله عنه ـ من لم يصحب الرسول، وفُقد من عرف فضل الصحابة رضي الله عنهم أجمعين)[2].

٣ ـ أشارت الرواية رقم (٧١) إلى أن علياً رضي الله عنه قد هدد بقتل الذين قاتلوه.

وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، هذا فضلاً عن كون المسلمين لم يفعلوا ذلك مع أعدائهم من الكفار، فكيف يفعلونه من إخوتهم في الدين.

وحقيقة الأمر ما أخرجه الإمام الشافعي من طريق علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: دخلت على مروان بن الحكم فقال:

ما رأيت أحداً أكرم غلبة من أبيك ـ يعني علياً ـ ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل فنادى مناديه: لا يقتل مدبر ولا يذفف[3] على جريح[4].

٤ ـ تحدثت الروايتان رقم (٧٤) و(٧٥) عن خروج عائشة رضي الله عنها من البصرة معززة مكرمة بعد أن جهزها علي رضي الله عنه.

---

(١) أحمد بن حنبل: فضائل الصحابة ٢/ ٧٣٧.

(٢) أبو نعيم الأصبهاني: كتاب الإمامة ٣٢٢.

(٣) لا يجهز عليه. [الفيروزآبادي: القاموس المحيط ١٠٤٨].

(٤) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٢.

وهذا الفعل من علي رضي الله عنه يعد امتثالاً لما أوصاه به النبي ﷺ.

حيث أخرج الإمام أحمد، بإسناد حسن[1]، من طريق أبي رافع أن رسول الله ﷺ قال لعلي بن أبي طالب:

(إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر. قال: أنا يا رسول الله؟! قال: نعم. قال: أنا؟! قال: نعم. قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله. قال: لا، ولكن إذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها)[2].

٥ ـ ذكرت الرواية رقم (٧٦) أن علياً رضي الله عنه كتب إلى أهل الكوفة يبشرهم بانتصاره على أهل البصرة.

وهذا الخبر يعارضه ما ثبت من عدالة الصحابة رضوان الله عليهم، ذلك فضلاً عن أن علياً رضي الله عنه لم يفرح بانتصاره على أهل البصرة، بل إنه تألم كثيراً لما آلت إليه الأمور. والحجة في ذلك ما أخرجه عبد الله بن أحمد بن حنبل، من طريق قيس بن عباد[3] قال:

(قال علي رضي الله عنه لابنه الحسن يوم الجمل: يا حسن ليت أباك مات من عشرين سنة، قال: فقال له الحسن: يا أبت قد كنت أنهاك عن هذا، قال: يا بني لم أر الأمر يبلغ هذا)[4].

(وإسناده صحيح)

(١) ابن حجر: فتح الباري ١٣/ ٦٠.

(٢) أحمد بن حنبل: المسند ٦/ ٣٩٣.

(٣) قيس بن عباد الضبعي، ثقة، من الطبقة الثانية، مخضرم، مات بعد الثمانين، وهم من عدة من الصحابة، أخرج له البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي، وابن ماجه. [ابن حجر: التقريب ٤٥٧].

(٤) عبد الله بن أحمد بن حنبل: كتاب السنة ٢/ ٥٨٩.

الخاتمة

الخاتمة

الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

وبعد، فقد كان من أبرز النتائج التي خرجت بها من هذا البحث ما يلي:

١ ـ أن منهج عثمان رضي الله عنه أثناء الفتنة لم يكن اجتهاداً منهُ بل كان نابعاً من مشكاة النبوة.

٢ ـ وجود دور لليهود في إثارة الفتنة على عثمان رضي الله عنه.

٣ ـ الرد على أقوال المشككين في شخصية عبد الله بن سبأ، وتبيان دور المستشرقين في ذلك، وإثبات عدم تفرد سيف بن عمر برواية أخبار ابن سبأ.

٤ ـ احتمال قيام ابن سبأ شخصياً بقتل عثمان رضي الله عنه بعدما رأى تردد المنافقين الذين معه في الإقدام على قتل عثمان، وذلك مهابةً منهم لشخصه رضوان الله عليه.

٥ ـ توضيح موقف أهل الأمصار من استشهاد عثمان رضي الله عنه.

٦ ـ بُطلان التهمة الموجهة لعائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم بأنهم كرهوا بيعة علي رضي الله عنه.

٧ ـ بُطلان التهمة الموجهة لعائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم بأنهم ذهبوا إلى البصرة من أجل الطلب بدم عثمان رضي الله عنه وإثبات أنهم خرجوا للإصلاح بين الناس.

٨ ـ بُطلان الاتهام الموجه إلى علي رضي الله عنه بأنه خرج إلى العراق مطارداً لأصحاب الجمل.

٩ ـ براءة علي وعائشة وطلحة والزبير رضوان الله عليهم من تبعة اندلاع القتال يوم الجمل وتبيان دور السبئية في ذلك.

١٠ ـ تبيان المبالغة الشديدة في أعداد القتلى يوم الجمل وتعليل ذلك.

١١ ـ ضعف أسانيد سيف بن عمر عند أهل الحديث.

١٢ ـ تمتع سيف بوعي سياسي كبير تمثل بتتبعه لجذور الفتنة التي أدّت إلى استشهاد عثمان رضي الله عنه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين